بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعـــــة الإســــلامية – غـــــزة

كليـــــــــــــــــــــة: الآداب

قـــــسم: اللغـــــة العربيــــــة

العنوان:

الزجَّاج وجهوده البلاغية في ضوء كتابه معاني القرآن وإعرابه(السور المدنية).

إعداد الطالب

إيـــــاد ســـعيد رجب بظاظو

الرقم الجامعي (١٢٠٠٨٠٦٣٩).

تحت إشراف

أ.د. محمد شعبان علوان

قُدِّم هذا البحث استكمالا للحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية.

١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

أثناء تعمقي في كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج ومن خــلال كتــب التفــسير القديمة اتضح بأن كتابه يعتبر من أمهات الكتب العربية في البلاغة والنحو واللغة، وقد احتوى هذا الكتاب على كثير من المسائل البلاغية التي ذكرها الزجاج، والتي كنت بــصدد الحــديث عنها كي أثبت أن الزجاج عالم من علماء البلاغة العربية إضافة إلى أنه عالم من علماء النحو المشهورين.

وقد قسمت هذا البحث الذي يحمل عنوان:

(الزجاج وجهوده البلاغية في ضوء كتابه معاني القرآن وإعرابه) السور المدنية.

إلى مقدمة، ومدخل، وخمسة فصول.

حيث تحدثت في المدخل عن حياة الزجاج ومولده، ووفاتــه، وشــيوخه، وتلاميــذه، ومكانته العلمية، ومصنفاته.

وتناولت في الفصل الأول التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند الزجاج، وهو ما يسمى بعلم المعاني.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن علم البيان، وأفردت الفصل الثالث للقسم الثالــث مــن أقسام البلاغة وهو علم البديع.

والفصل الرابع قد تحدثت عن القراءات القرآنية وما تظهره من وجوه بلاغية باختلاف القراءات.

أما الفصل الخامس فهو بعنوان: مكانة الكتاب العلمية بين الكتب، وذكرت فيه ثلاثــة مباحث:

أولها: منهجه في الكتاب.

ثانيها: تأثر الزجاج بالعلماء السابقين.

ثالثها: تأثير الزجاج في العلماء اللاحقين.

فكان له منهجه الخاص في كتابه الذي ميزه عن باقي المفسرين.

وقد عزمت على دراسة هذا العلم لأكون أحد المؤكدين ما لدراسة البلاغة العربية من شرعية في كل عصر من العصور السابقة واللاحقة.

Abstract

During Tamki in the book (the meanings of the Qur'an and pronunciation)of the glass and through the written interpretation of old found that the book is one of the mothers of Arabic books in rhetoric, grammar and language, and contained in this book many of the issues rhetoric mentioned by the glass, and you are going to talk about so established that the glass a world of scientists Arabic Rhetoric in addition to being a world of scientists as writers.

This research has been divided, which is titled:
(Glass and his rhetoric in the light of his meanings and pronunciation)
Civil fence.

Introduction, and the entrance, and five chapters.
At the entrance, where she spoke about the life of glass and birth, death, old, and his disciples, and his scientific and his works.
And dealt with in the first quarter grammatical structures of the destination when rhetorical glass, which is called the knowledge of the meanings.

In the second chapter talked about the science statement, and have devoted Chapter III of the Section III of the categories of rhetoric, a science Badie.

The fourth chapter talked about the readings and show of the faces of the different rhetorical readings.
The fifth chapter is entitled: the status of scientific authors of books, and mentioned three sections:

First: its method in the book.
Second: The effect of glass scientists ex.
Third: The effect of glass in the subsequent scholars.

He had a special approach in his book, which characterized it from the rest of commentators, which is determined to study this science to be one of those who have stressed the study of Arabic rhetoric is legal in every era from previous eras and later.

الإهـــــــــــــداء

إلى روح والدي رحمه الله ...

إلى أمي الموقرة... وخالتي الغالية أطال الله بقاءهما.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء.

إلى زوجتي الوفية التي شجعتني على إكمال الدراسة وكانت عونا لي.

إلى أبنائي ... ياسمين ومحمد.

إلى الذين لم يبخلوا عليَّ بحبهم وعطائهم.

أُهدي بحثي هذا.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ/
أ.د. محمد شعبان علوان (أبو مصعب)
الذي أخذ بيدي ولم يقصر في مساعدتي لأنهيَ هذا البحث، فله مني كـــل الاحتـــرام والتقدير.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية الذين كان لهم دور بـــارز في الأخذ بيدي إلى بر الأمان.

وأقدم خالص حبي إلى جامعتي الغراء وأسأل الله أن يجعلها منبعا للعلم والعلماء.

إلى جميع هؤلاء أقدم أسمى آيات الشكر والتقدير.

وأسأل الله أن ينفع بهم عباده الصالحين. آمين

المقدمـــــــــــــــة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾(١)، والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وإمام المجاهدين القائل " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" وبعد:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، فهو معجز بفصاحته وبلاغتــه وبيانــه وبديعــه ومعانيه، فجميع علومه مقدسة لأنها من لدن عليم حكيم.

إن أدق وأوسع وأبرز ما في القرآن هو اللغة وبلاغتها، حيث استخدمها الباري عــز وجل ليري العرب الذين نزل الوحي في أرضهم عجزهم عن مجاراته في البلاغة والبيــان، وقد كانوا آنذاك يتفاخرون في البلاغة اللغوية وفن استخدام الألفاظ، حيث وصــلت البلاغــة اللغوية في عهدهم إلى ذروتها، ولعل أبرز ما وصل إلينا هي المعلقات، كونها الأكثر بلاغــة والأقوى لغة آنذاك، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَــتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَــوْ كَــانَ بَعْــضُهُمْ لِــبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾(٢).

فالقرآن المنزل عليه من الله تعالى فيه تحد للعرب ومعلقاتهم ولغتهم التي يتفــاخرون بفنها الرفيع وبلاغتها الراقية، حينما وجدوا أنفسهم لا يستطيعون مجاراة القــرآن فــي الفــن والبلاغة اللغوية التي تتضمنها آياته.

فكان اهتمام كثير من العلماء والمفسرين حوله، حتى أصبح ولازال منبعا لعلوم شتى، استعانوا بتلك العلوم في جميع متطلبات حياتهم ومجالاتها المعرفية والسياسية والدينية، فظهر من تلك العلوم علم البلاغة الذي نحن بصدد الحديث عنه.

فخرج من رحم ذلك العلم العديد من العلماء منهم الشيخ عبــد القــاهر الجرجــاني، والزمخشري، والفخر الرازي، وأبو السعود، والشوكاني، والزجاج، الذي من خــلال بحثــي

---

(1) طه ١١٤.

(2) الإسراء ٨٨.

سأعمل على ما يثبت أنه من أولئك العلماء في البلاغة العربية، وذلك ما سيتبين في فصول البحث إن شاء الله تعالى، إضافة إلى أنه نحوي بارز ومشهور.

أسباب اختيار البحث:

هذا بحث في كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وقد جاء بعنوان(الزجاج وجهوده البلاغية في ضوء كتابه معاني القرآن وإعرابه) وقد أخذت منه السور المدنية فقط.
تكمن الحقيقة وراء اختيار هذا الموضوع لسببين رئيسين:

أولهما:

معرفة الكثير من بلاغة القرآن الكريم، ورغبة مني في تثبيت الإيمان في قلبي وقلب كل مؤمن، حتى يكون حجة داحضة في وجه كل جاحد.
فإن الباحث في القرآن الكريم ليجد فيه بحرا ليس له ساحل مليء بالعلوم وهو ينبوع للدراسات والبحوث.

ثانيهما:

ردا على أولئك المتطاولين على تراثنا العربي الأصيل وقواعده التي وضعها علماؤنا أمثال الإمام عبد القاهر الجرجاني، هم الذين حاولوا أن يغيروا في أسماء المصطلحات البلاغية إلى مصطلحات معقدة لا معنى لها، واضعين السم في الدسم لينفروا الناشئة من البلاغة العربية، مبعدين الباحثين والدارسين عنها.

ولهذا عزمت على دراسة هذا العلم العظيم لأكون أحد المثبّتين المؤيدين لتلك المصطلحات، مستنبطا عباراتي من كتابات علمائنا الأوائل.

منهج البحث:

تتبعت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي الوصفي والتحليلي، حيث أنني قمت أولاً بقراءة السور المدنية سورة سورة، وآية آية، فوضعت بعد ذلك يدي على مواطن البلاغة في الآيات التي قمت بتحليلها للكشف عن الأسرار البلاغية فيها، ووصف معانيها وتبيين مبانيها.

تمهيـــــد

الزجـــــاج

اسمه ونسبه:

إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب وله مصنفات حسان فـــي الأدب، روى عنه علي بن عبد الله بن المغيرة وغيره[١]. كان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب، فنسب إليه[٢] ، وقال أبو محمد بن درستويه: حدثني أبو إسحاق الزجاج قـــال: كنـــت أخـــرط

---

[1] تاريخ بغداد: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ، مكتبة الخانجي، القـــاهرة، دار الفكـــر، ٨٩/٦-٩٠.

وانظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات كمال الدين عبـــد الـــرحمن بـــن محمـــد الأنباري: تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنارة، الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.

بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفـــضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٤١١/١.

تهذيب الأسماء واللغات: للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ١٧٠/٢-١٧١.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيـــق إحسان عباس، ٤٩/١.

معجم الأدباء: لياقوت، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠م، ١٣٠/١.

سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي، تحقيق أكرم البوشي، ، مؤسسة الرسالة، ط١١، ٢٠٠١م، ٣٦٠/١٤.

شذرات الذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ٢٥٩/١.

الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٣، ١٩٩٧م، ٤٠/١.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبـــد القـــادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنـــان، ط١، ١٩٩٢، ٢٢٣/١٣.

تهذيب البداية والنهاية: للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، تهذيب وتنقيح وإعداد عبد الحليم إبراهيم عبد الحليم، دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠٦، ٣٩٠/٣.

[2] وفيات الأعيان: ٤٩/١.

الزجاج فاشتهيت النحو، فلزمت أبا العباس المبرد، وكان لا يعلم مجانا، وكان لا يعلم إلا بأجرة إلا على قدرها.

فقال: أي شيء صناعتك؟ فقلت: أخرط الزجاج، وكسبي كل يوم درهم ونصف[١] وأريد أن تبالغ في تعليمي، وأنا أشرط أن أعطيك كل يوم درهما أبدا إلى أن يفرق الموت بيننا استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه[٢].

قال: فلزمته، كنت أخدمه في أموره في ذلك، فنصحني في العلم حتى استقللت، فجاءه كتاب له من بني مارقة، يلتمسون معلما نحويا لأولادهم، فقلت له: أسمني لهم، فأسامني فخرجت، فكنت أعلمهم وأنفذ له كل شهر ثلاثين درهما وأنفله ما أقدر عليه[٣]، ومضت مدة على ذلك فطلب منه عبد الله بن سليمان مؤدبا لابنه القاسم فقال له: لا أعرف لك إلا رجلا زجاجا بالصراه من بني مارقة، قال فكتب إليهم عبد الله فاستنزلهم عني فتركوني له، فأحضرني وأسلم القاسم إلي[٤] فما مضت إلا سنون حتى ولي القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له، وصرت نديمه، ولما استوزره القاسم أفاد بطريقته مالا جزيلا[٥].

وحكى ابن مهذب في تاريخه، حدثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه ببغداد، أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه، فعقد لهم سبعين، وآخر ما سمع منه: اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل[٦].

قال أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي: توفي أبو إسحاق الزجاج في جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقال غيره: توفي يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من الشهر في خلافة المقتدر بالله تعالى[٧]

---

(1) وفي تاريخ بغداد درهم ودانقان أو درهم ونصف.

(2) نزهة الالباء: ١٨٣.

(3) بغية الوعاه: ٤١١/١.

(4) تاريخ بغداد: ٩٠/٦.

(5) شذرات الذهب: ٢٥٩/٢. وانظر: المقفى الكبير: تقي الدين المقريزي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت_لبنان، ط١، ١٩٩١، ٩٧/١.

(6) معجم الأدباء: ١٣٠/١.

(7) نزهة الألباء: ١٨٤-١٨٥. وانظر: الكامل في التاريخ: لابن الأثير، عني بمراجعه وأصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان، ط٣، ١٩٨٠، ١٧٦/٦.

شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

الزجاج من المعلمين، تلميذ للمبرد(ت٢٨٦هـ)، وثعلب(ت٢٩١هـ). ومدرسة المعلمين في ذلك الوقت كانت تقوم على دراسات قوامها دراسة اللغة ورواية الأشعار والأخبار وما إلي ذلك[١]، وكان الزجاج يؤدب الوزير القاسم ابن عبد الله[٢] .

تلاميذه:

يعتبر الزجاج أستاذا لابن السراج (ت٣١٦هـ)، ولأبي علي الفارسي(ت٣٧٠هـ)، وللحسن بن بشر الآمدي(ت٣٧١هـ)، وغيرهم مثل:

١- أحمد بن محمد بن الوليد، والوليد يعرف بولاد، بصري الأصل، وانتقل جده إلى مصر، وهو وأبوه وجده مشهورون بالعربية، سمع عن الزجاج وطبقته بالعراق، وعاد إلى مصر وصنف (الانتصار لسيبويه على المبرد)، وله مع النحاس مناظرات (ت٣٣٢هـ) [٣].

٢- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي أبو القاسم النحوي (ت٣٣٧هـ) تلميذ الشيخ أبي إسحاق الزجاج قرأ عليه ونسب إليه وقرأ أيضا على أبي جعفر بن رستم الطبري وعلى أبي الحسن بن كيسان وأبي بكر بن السراج وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري وأبي موسى الحامض ومحمد ابن العباس اليزيدي وابن دريد وغيرهم[٤].

٣- أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر عرف بالصفار النحاس أخذ عن الزجاج وكان واسع العلم كثير الرواية حسن التحرير له مؤلفات بديعة منها معاني القرآن والكافي في

---

(1) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج، شرح وتعليق: عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤، ١٨/١.

(2) تهذيب الأسماء واللغات ٢٩/١.

(3) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: تصنيف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، حققه محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م، ص٦١-٦٢.

(4) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ص١٣٠.

النحو وناسخ القرآن ومنسوخه وأدب الكتاب والمقنع في اختلاف البصريين والكوفيين وأخبار الشعراء (ت٣٣٨هـ) [١].

٤- محمد بن إسحاق بن أسباط أبو النضر (ت٣٤٤هـ) صاحب الزجاج له كتاب العيون والنكت في النحو[٢].

٥- محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح أبو منصور الأزهري اللغوي الهروي(ت٣٧٠هـ) إمام جليل جمع فنون الأدب وحشرها، ورفع راية العربية ونشرها أدرك الزجاج ونفطويه وابن دريد وطبقتهم و أسرته العرب وبقي بينهم مدة مديدة فحفظ من لغاتهم وأملى وحدث وصنف في اللغة والتفسير وعلل القراءات والنحو كتبا نفيسة وهو حجة فيما يقوله وينقله وكتابه التهذيب برهان على كونه أكمل أديب توفي سنة سبعين وثلاثمائة وعمره ثمانية وثمانون[٣].

٦- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي الفارسي الفسوي الإمام العلامة(ت٣٧٧هـ) قرأ النحو على أبي إسحاق الزجاج[٤].

---

[1] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٦٤،.

[2] نفسه ص١٨٩.

[3] نفسه ص١٨٦.

[4] نفسه ص٨٠.

مكانته ومصنفاته:

أ- مكانته:

عاش الزجاج في القرن الثالث الهجري، وفترة من أول القرن الرابع، وهـذا الـزمن الذي عاش فيه من أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي، ونضجت فيه ثمار العلوم في مختلف أنواعها وعنى بعلماء كثيرين ذوي شهرة واسعة في شتى ميادين العلوم[١]،إن ما تقدم من كلام الخطابي ليوضح المكانة العلمية التي يحوزها الزجاج.

ب- مصنفاته:

للزجاج من الكتب: كتاب ما فسره من جامع النطق. وكتاب معاني القرآن "قرأت على ظهر كتاب المعاني: ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين، وأتمه في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلاثمائة"[٢].

ومن مؤلفاته مصنفا كما في معجم الأدباء لياقوت[٣]:

كتاب الاشتقاق.

كتاب القوافي.

كتاب العروض.

كتاب الفرق.

كتاب خلق الإنسان.

كتاب خلق الفرس.

كتاب مختصر النحو.

كتاب فعلت و أفعلت.

كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف.

كتاب شرح أبيات سيبويه.

كتاب النوادر.

---

(1) (مقدمة التحقيق) معاني القرآن وإعرابه ٢٣/١.

(2) معجم الأدباء ١٥١/١.

(3) معجم الأدباء لياقوت ١٥١/١.

وزاد عليه الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء[١]:

كتاب الإنسان وأعضائه.

وزاد عليها الزركلي في الأعلام[٢]:

كتاب (الأمالي) في الأدب واللغة.

كتاب (المثلث) في اللغة.

---

(1) سير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤.

(2) الأعلام ١٤٠/١.

البلاغة

حظي الدرس البلاغي عند العرب بكثير من الاهتمام، وذلك لأن (البلاغة) كانت تحمل منذ نشأتها بذور العبقرية العربية في جلالها وقدرتها على استكشاف مواطن النفس الإنسانية حين تقول فتجيد، وحين تتلقى فتحسن التلقي، وحين تكتب فتبدع فتحسن الإبداع، وقد أدرك العرب قيمة الدرس البلاغي من حيث كشفه عن أسرار بنية الخطاب وأثره في المتلقي، وقدرة الكلمة على التأثير والتعبير كما يعد علم البلاغة من أجل العلوم وأشرفها إذ به نتعرف على طرق الكلام و أساليبه و به نتلمس السبل إلى مواطن الجمال أو القبح في النصوص ، وهو طريق يفتح لنا مدارك الفهم حيث تتعرى النصوص به في بيان مشرق واضح .

وتبرز مكانة وأهمية هذا العلم الضارب بجذوره في القدم من القرآن الكريم حيث تتجلى فيه كل صور البلاغة وفنونها في إعجاز باهر وجمال آخذ آسر.

البلاغة لغة:

البلاغة : الفصاحة. والبلغُ والبِلغِ: البليغ من الرجال. ورجلٌ بليغٌ وبِلغٌ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بلُغ بالضم بلاغةً أي صار بليغاً. وقولٌ بليغ: بالغٌ وقد بَلُغَ[١] أي بالغٌ في الحمق.

ويتضح هذا جليا في كتاب الزجاج معاني القرآن وإعرابه، حيث يوضح معنى البلاغة في قول الله عز وجل : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾[2]

يقال قول بليغ إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، ويقال أحمق بَلْغٌ وبِلْغٌ[٣] .

(1) لسان العرب : لابن منظور، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٧، مادة (بلغ)، ٢٤٧/١

(2) النساء ٦٣/٤.

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٧/٢ .

البلاغة اصطلاحا:

هي مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين مع فصاحته[١]. وتقع في الاصطلاح وصفا للكلام والمتكلم فقط، ولا توصف الكلمة بالبلاغة لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه ولعدم السماع بذلك[٢]، ولخروجها من التعريف الاصطلاحي للبلاغة.

أما عن وصف الكلمة بمفردها فإنها تصف بالفصيحة، فنقول كلمة فصيحة وكلام فصيح ومتكلم فصيح، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا، فالفصاحة تختص باللفظ والبلاغة تختص بالمعنى.

وأما بلاغة الكلام فهي: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك في سياق حديثه عن النّظم حيث يقول: "النظم توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام"[٣] .

وإن شئت تحديد البلاغة وتعريفها فهي أن يكون الكلام بعد فصاحته مناسبا للموضوع الذي يؤلف فيه، ملائما للحال الذي دعت إليه موافقا لنفوس السامعين، متمشيا مع أهوائهم فيتفاعل معهم ويؤثر فيهم، وينال القائل منهم ما يريد فيصل إلى غرضه، وينتهي إلى غايته[٤]، وجميع هذه الأقوال التي تقدمت تدلل بأن البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته كما عرفها المتقدمين.

---

(1) الإيضاح : للقزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب اللبناني، ط٤، ١٩٧٥، ص٨٠.

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان: السيد أحمد الهاشمي، تحقيق د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص ٧٩.

(3) الإيضاح ٨٠/١ .

(4) فن البلاغة: د. عبد القادر حسين، النسخة الأخيرة، مطبعة الأمانة، ص٤٢-٤٣ .

الفصـــــــــــل الأول

التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند الزجاج

المقصود بالتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية هو علم المعاني، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة، وقد كانت البلاغة العربية أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز.

وقد ربط الإمام عبد القاهر الجرجاني علم النحو بعلم البلاغة وسماها نظرية النظم والتي تتلخص في أن جمال البلاغة ليس في اللفظ ولا في المعنى ، وإنما في نظم الكلام ، أي الأسلوب ، وبناء الجملة ، ومواقع الإيجاز والإطناب ، وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

ويقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب في تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"[١].

علم المعاني:

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

فأحوال اللفظ هي الأمور التي تعرض له من التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذكر والحذف، إلى غير ذلك.

ومعنى مطابقة الحال: أن يكون اللفظ مطابقا لأحوال المخاطب، فقد يكون خالي الذهن عن الموضوع كلية، وقد يكون شاكا في هذا الموضوع، وقد يكون منكرا له تماما، وكل حالة من هذه الأحوال تقتضي طريقة معينة من التعبير تنطبق على حالة المخاطب[٢].

---

[1] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- المؤسسة السعودية، ط٣، ١٩٩٢م، ص٨٠.

[2] فن البلاغة، ص٨٠.

المسائل البلاغية التي ذكرها الزجاج في كتابه

أولا: الخبـــــــر

الخبر لغة:

خبر: الخَبِيرُ: من أَسماء الله عز وجل العالم بما كان وما يكون. وخَبُرْتُ بـــالأَمر أي علمته، وخَبَرْتُ الأَمرَ أَخْبُرُهُ إِذا عرفته على حقيقته. وقوله تعالى: فاسْأَلْ بهِ خَبِيراً؛ أَي اسأَل عنه خبيراً يَخْبُرُ.

والخَبَرُ، بالتحريك: واحد الأَخْبار. والخَبَرُ: ما أَتاك من نَبإٍ عمن تَستَخْبِرُ. الخَبَرُ النَّبَأُ، والجمع أَخْبَارٌ، وأَخابير جمع الجمع. وخَبَّرَه بكذا وأَخْبَرَه: نَبَّأَهُ. واسْتَخْبَرَه: سأَله عــن الخَبَــرِ وطلب أَن يُخْبِرَهُ؛ ويقال:تَخَبَّرْتُ الخَبَرَ واسْتَخْبَرْتُه وتَخَبَّرْتُ الجواب واستَخْبَرْتُه. والاسْــتِخْبارُ والتَّخَبُّرُ:السؤال عن الخَبَر(١).

الخبر اصطلاحا:

عرفه المبرّد بقوله: "الخبر ما جاز على قائله التصديق أوالتكذيب" وكذلك صنفه ثعلب في كتابه "قواعد الشعر" إلى أربعة أقسام. أمر، ونهي، وخبر، واستخبار(٢).

فالخبر هو كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته. أي بقطع النظر عن الـــذي ينطـــق بالخبر سواء أكان مقطوعا بصدقه أو كذبه وبقطع النظر عن البدهيات كالسماء فوقنا والأرض تحتنا. فهذه مما لا يشك احد في صدقها، ولكننا نعتبرها خبرا إلى ذات الكلام نفسه(٣)

ويقول البلاغيون إن احتمال الخبر للصدق أوالكذب إنما يكون بـــالنظر إلـــى مفهـــوم الكلام الخبري ذاته، دون النظر إلى المخبر أو الواقع، إذ لو نظرنا عند الحكم علـــى الخبـــر بالصدق أو الكذب إلى المخبر(٤).

---

(1) لسان العرب (خبر) ٢/٢١٥.

(2) المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: د. إنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢، ص٥٥٣.

(3) من بلاغة القرآن: د. محمد علوان ود. نعمان علوان،مطبعة المقداد، ط٢، ١٩٩٨، ص٣٢.

(4) في البلاغة العربية، ص٤٣.

ومهما اختلفت آراء العلماء في مفهوم الخبر فإن هناك قدرا مشتركا بينهم يمكننا أن نستخلص منه تعريفا له وهو:

الخبر ما يصلح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب، فإذا كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا[١].

أضرب الخبر:

للخبر ثلاثة أضرب وهي الابتدائي والطلبي والإنكاري.

قد ذكر الزجاج في كتابه الخبر الإنكاري، وهو الضرب الثالث من أضرب الخبر، والذي يحتاج المخاطب فيه إلى أكثر من مؤكد لإنكاره للخبر، وذلك في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ**﴾[٢]

يقول الزجاج: " هذه اللام في (**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا**) تؤكد الكلام زيادة على توكيد إن، لأن إن معناها توكيد الكلام، ولذلك صار الضم يوصل بها في الإيجاب، تقول: والله إن زيدا قائم، وكذلك تصل الضم باللام، فيقول والله لزيد قائم، ولا تلي هذه اللام إن، لا يجوز: إن لزيدا قائم بإجماع النحويين كلهم وأهل اللغة"[٣].

الأغراض البلاغية للخبر:

للخبر غرضان أساسيان: أولهما فائدة الخبر، وثانيهما لازم الفائدة، ولكن قد يخرج الخبر إلى أغراض بلاغية أخرى، وهذا يتضح في قول الزركشي في كتابه البرهان من خلال تعريفه للخبر بقوله: " الخبر القصد به إفادة المخاطب، وقد يشرب مع ذلك معاني أُخر"[٤].

---

(1) في البلاغة العربية ص٤٣.

(2) آل عمران ٧٨.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٦/١.

(4) البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٣١٧/٢.

من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر:

الأمر:

في قوله عز وجل: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾ (١)

وضح الزجاج ذلك فقال: " اللفظ لفظ الخبر والمعنى الأمر كما تقول: حسبك درهم، فلفظه لفظ الخبر ومعناه: اكتف بدرهم. وكذلك معنى الآية لترضع الوالدات"(٢).

وقوله عز وجل: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ**﴾(٣)

يفسر الزجاج قول الله عز وجل قائلا: لفظ يحذر لفظ الخبر ومعناه الأمر، لأنه لا لبس في الكلام في أنه أمر، فهو كقولك: ليحذر المنافقون، وعلى هذا يجوز في كل ما يؤمر به أن تقول يُفعل ذلك، فينوب عن قولك ليفعل ذلك(٤).

وقوله: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً** ﴾(٥).

يقول الزجاج: هو لفظ خبر فيه معنى أمر.(٦)

وقوله عز وجل: ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٧)

قال الزجاج: بمعنى وحرم الله ذلك على المؤمنين ولم يقرأ بها.

وهذه لفظه لفظ خبر، ومعناها معنى الأمر، ولو كان على ما قال من قال أنه الـوطءُ لما كان في الكلام فائدة(٨).

و كقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا**﴾ (٩).

يقول الزجاج: أي الله ناصركم عليهم، ومعنى الباء التوكيد، المعنى: وكفى الله وليـاً وكفى الله نصيرا، إلا أن الباء دخلت على اسم الفاعل، لأن معنى الكلام الأمر، المعنى: اكتفوا بالله.

---

(1) البقرة ٢٣٣.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٧/١.

(3) التوبة ٦٤.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٠/٢-٣٧١.

(5) التوبة ١٢٢.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٥/٢.

(7) النور ٣.

(8) معاني القرآن وإعرابه ٢٤/٤.

(9) النساء ٤٥.

ثانيا: الإنشاء

في اللغة:

نشأ: أَنْشَأَه اللّه: خَلَقَه. ونَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً ونُشُوءاً ونَشَاءً ونَشْأَةً ونَشَاءة: حَيِي، وأَنْشَأَ اللّهُ الخَلْقَ أَي ابْتَدَأَ خَلْقَهم[1].

في الاصطلاح:

هو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس له لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[2].

ولعل هذا هو الفرق بين الخبر والإنشاء، إذ أن الخبر هو مطابقة النسبة الكلامية النسبة الخارجية، لذلك عده البلاغيون كلاما يحتمل الصدق والكذب لذاته.

فالخبر له نسبة خارجية والإنشاء ليس له نسبة خارجية، لأن مضمون الكلام في الإنشاء لا يتحقق إلا بمجرد التلفظ به، أما الخبر فمضمون الكلام يتحقق بعد المطابقة بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية.

وينقسم الإنشاء إلى قسمين: الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي، وقد ذكر الزجاج في كتابه هذين القسمين، لكنه من خلال تفسيره للسور المدنية لم يذكر من صور الإنشاء غير الطلبي سوى القسم وصيغة الذم، أما الإنشاء الطلبي فذكر أنواعه الخمسة.

---

(1) لسان العرب (نشأ)

(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣. ١/٣٣٢.

الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوبا[1].

من صور الإنشاء غير الطلبي:

١ – القسم:

القسم لغة:

والقَسَمُ، بالتحريك: اليمين، وكذلك المُقْسَمُ، وهو المصدر مثل المُخْرَج، والجمع أَقْسام. وقد أَقْسَمَ بالله واسْتَقْسَمه به وقاسَمَه: حلَف له. وتَقاسمَ القومُ: تحالفوا. وأَقْسَمْت: حلفت، وأَصله من القَسامة. والقَسامة: الذين يحلفون على حَقِّهم ويأْخذون. والمُقْسَمُ: القَسَمُ. والمُقْسَمُ: المَوْضِع الذي حلف فيه. والمُقْسِم: الرجل الحالف، أَقْسَم يُقْسِمُ إِقْساماً[2].

القسم اصطلاحا:

عرفه الزركشي تعريفا نحويا فقال: هو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر[3].

القَسم باللام: ورد في القرآن ﴿**وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ**﴾ [4]

قال الزجاج: أي ممن أظهر الإيمان لمن يبطئ عن القتال، يقال: قد أبطأ الرجل وبَطُؤَ بمعنى تأخر، ومعنى بطؤ: أبطأ وبطئاً.

واللام الأولى التي في "لمن" لام إن، واللام التي في ليبطئن لام القسم، ومَنْ موصولة بالجالب للقسم، كأن هذا لو كان كلاما لقلت إن منكم لمن أحلف والله ليبطئن، والنحويون يجمعون على أن من وما والذي لا يوصَلن بالأمر والنهي إلا بما يضمر معها في ذكر الخبر، وأن لام القسم إذا جاء مع هذه الحروف فلفظ القسم وما أشبه لفظه مضمر معها[5].

ومثله قوله جل وعز: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[6]

هذه لام القسم كقولك: والله ليجمعنكم[7].

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣٣٢/١.

(2) لسان العرب (قسم) ٢٥٨/٥.

(3) البرهان ٤٠.

(4) النساء٧٢.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٦١/٢.

(6) النساء٨٧.

(7) معاني القرآن وإعرابه ٧١/٢.

٢- الترجي:

في قوله عز وجل: ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[١]

قال الزجاج: معنى لعل هنا الترجي لهم أي ليكونوا راجين _والله أعلم_ أيتذكرون أم لا ولكنهم خوطبوا على قدر لفظهم واستعمالهم[٢].

٣- صيغة الذم:

وردت هذه الصيغة جليا في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بلفظ "بئس".

وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [٣].

في هذه الآية أوضح الزجاج أنها تجمع بين صورتين من صور الإنشاء غير الطلبي وهما صيغ المدح والذم والقسم فيقول: "واللام دخلت للقسم والتوكيد"[٤].

ب- الإنشاء الطلبي:

وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء[٥].

---

[1] البقرة ٢٢١.

[2] معاني القرآن وإعرابه ١/٢٥٤.

[3] المائدة ٧٩.

[4] معاني القرآن وإعرابه ٢/١٦٠.

[5] من بلاغة القرآن: علوان ص ٤٠.

أولا:الأمر

الأَمْرُ: معروف، نقيض النَّهْيِ. أَمَرَه به وأَمَرَهُ، ؛ وأَمره إِياه، على حــذف الحــرف، يَأْمُرُه أَمْراً وإِماراً فأْتَمَرَ أَي قَبِلَ أَمْرَه[1].

وعند البلاغيين: الأمر هو طلب الفعل، غير الكف، على جهة الاستعلاء والإلــزام، والمراد بالاستعلاء هنا عدُّ الآمر نفسه عالياً، سواء كان عاليا في نفسه أم لا[2].

للأمر أربع صيغ هي:

١- فعل الأمر:

كقوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [3].

أمر الله عز وجل باجتناب كثيرٍ من الظن، وهو أن تظن بأهل الخير سوءًا إذا كنا نعلم أن الذي ظهر منه خير، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم [4].

٢- اسم فعل الأمر:

كقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا**﴾ [5].

يقول الزجاج: أي الله ناصركم عليهم، ومعنى الباء التوكيد، المعنى: وكفى الله وليــاً وكفى الله نصيرا، إلا أن الباء دخلت على اسم الفاعل، لأن معنى الكلام الأمر، المعنى: اكتفوا بالله. ومنه صَه بمعنى اسكت، وحذارِ بمعنى احذر، ودراكِ بمعنــى أدرِك، وأمــين بمعنــى استجِب[6].

---

(1) لسان العرب (أمر) ١/١٠٤.

(2) معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة ص٤٧.

(3) الحجرات ٤٩.

(4) معاني القرآن و إعرابه ٥/٣١-٣٢.

(5) النساء ٤٥.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٦.

وبقي صيغتان من صيغ الأمر الحقيقي الذي يريد طلب الفعل على وجه الاستعلاء وهما المضارع المقرون باللام، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

قد يخرج الأمر إلى أغراض بلاغية متعددة تُفهم من السياق.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر:

١- النصح والإرشاد:

وذلك في قوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾ [١]

قال الزجاج: فالمعنى إذا كان لبعضكم عند بعض دين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وأمر الله _عز وجل_ بكتب الدَّين حفظا للأموال، أي يكتب بالحق، لا يكتب لصاحب الدين فضلا على الذي عليه الدين ولا ينقصه من حقه فهذا العدل[٢].

ويمكن أن نؤول رأي الزجاج على النصح والإرشاد.

٢- الدعاء:

وهو الطلب على سبيل التضرع، فيكون من الأدنى إلى الأعلى[٣].

وذلك في قوله عز وجل: ﴿**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ**﴾ [٤].

قال بعض النحويين: المعنى سَلْه وقل له أَخرِج لنا يُخرِج لنا (هو)، وقال قوم: معنى يُخرِج لنا معنى الدعاء كأنه قال: أَخرِج لنا[٥].

ومعنى قوله: سلْه وقل له اخرج لنا يخرج لنا، ليس استفهاما، وإنما توسلا وتضرعا وهو معنى الدعاء، طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

---

(1) البقرة ٢٨٢.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٧/١.

(3) معجم البلاغة العربية ص٢٢٢.

(4) البقرة ٦١.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١٢٩/١.

٣- الإغراء:

في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [١].

وضح الزجاج الغرض من هذا الأمر فقال: "ومعنى من شهد: من كان شاهداً غير مسافرا فليصم، ومن كان مريضاً فقد جُعِل له أن يصوم عدة أيام المرض و أيام السفر من أيامٍ أُخَرْ"، ومن نصب شهر رمضان نصبه على وجهين:

أحدهما أن يكون بدلاً من أيامٍ معدودات.

والوجه الثاني على الأمر كأنه قال: عليكم شهر رمضان، على الإغراء[٢].

٤- الإباحة:

وهي أن تُستعمَل في مقام الإذن، وهو مقام توهُّم السامع فيه عدم جواز الجمع بين أمرين، فيكون الأمر إذنا له بالفعل، فله أن يفعل وله أن يترك[٣]، والإباحة من الأغراض التي تخرج إليها صيغة الأمر عن معناها الأصلي، وتفارق الإباحة التخيير بأنه لا يجوز الجمع بين الأمرين في التخيير دون الإباحة، ثم إن الإباحة يُخاطب بها من يتوهم أن الفعل محظوراً عليه، فيُؤذن له في الفعل مع عدم الحرج في الترك[٤].

قد وضع الزجاج هذا الغرض في تفسيره لقول الله عز وجل:

﴿ **فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ** ﴾ [٥].

فقال: فإن قال قائلٌ: فلما قال أو دين، وهلّا كان: من بعد وصيةٍ يُوصى بها ودين، فالجواب في هذا أن "أو" تأتي للإباحة، فتأتي لواحد على انفراد وتضم الجماعة فيُقال جالس الحسن أو الشعبي، والمعنى كل واحدٍ من هؤلاء أهل أن يُجالَس، فإذا جالست الحسن فأنت

---

(1) البقرة ١٨٥.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢١٩/١.

(3) من بلاغة القرآن: علوان ص٤٤.

(4) معجم البلاغة العربية ص ٩٤-٩٥.

(5) النساء ١١.

مصيب، ولو قلت جالس الرجلين فجالست واحدا منهما وتركت الآخر كنت غير متبِعٍ ما أُمرت به.

فلو كان "من بعد وصية يوصى بها ودين" احتمل اللفظ أن يكون هذا إذا اجتمعت الوصية والدين، فإذا انفردوا كان حُكمٌ آخر، فإذا كانت "أو" دلت على أن إحداهما إن كانت، فالميراث بعده وكذلك إن كانا كلاهما[١].

وقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ**﴾[٢].

هذا عند أكثر الفقهاء على الندب، للمولى أن يعطيه شيئا مما يفارقه عليه أو من ماله ما يستعين به على قضاء نجومه، وله ألا يفعل، وكذلك له أن يكاتبه إذا طلب المكاتبة ومخرج هذا الأمر مخرج الإباحة[٣].

ومن خلال كلامه يتضح الفرق بين الإباحة والتخيير.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١٩/٢.

(2) النور ٣٣.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٣/٤.

٥- التخيير:

من الأغراض البلاغية التي تخرج إليها صيغة الأمر عن معناها الأصلي، وهو أن يكون المخاطب مخيرا بين شيئين أو عدة أشياء شريطة ألا يجمع بينهما[١].

وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا** ﴾[٢]

يقول الزجاج: وكن أردن شيئا من أمر الدنيا، فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه بين الإقامة معه على طلب من عند الله، أو التسريح إن أردن الحياة الدنيا وزينتها، فاخترن الآخرة على الدنيا والجنة على الزينة[٣].

٦- التهديد:

ومعناه التخويف، والتهديد اعم من الإنذار، لأن الإنذار تخويف مع دعوة لما ينجي من المخوف، أما التهديد فهو تخويف مطلقا[٤].
وهذا معناه كما يقول البلاغيون استعمال صيغة الأمر في مقام عدم الرضا.

قال تعالى: ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٥]

يقول الزجاج: معنى أليم موجع، قال(بشر أي اجعل في مكان بشارتهم لهم العذاب)[٦].
ولعل هذا الكلام يتسق مع قوله (بشر) لأن البشارة تحمل الخبر السار، فلما تستقبل النفس البشارة يكون قد وصل الأمر إلى القلب، فإذا ما اتضح بعد ذلك أن المنتظر عذابا

---

(1) من بلاغة القرآن ص٤٤.
(2) الأحزاب ٢٨.
(3) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٦٩-١٧٠.
(4) معجم البلاغة العربية ٦٨٥-٦٨٦.
(5) النساء ١٣٨.
(6) معاني القرآن وإعرابه٢/٩٨.

موجعا يكون قد وصل المراد إلى قلب وذهن السامع، وهو حمل الأمر واستعماله في م قـــام عدم الرضا الذي يحمل التهديد.

٧- التسوية:

كقوله عز وجل: ﴿**قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[١]

قال الزجاج: وإن شئت كرها بالضم، هذا لفظ أمر ومعناه الشرط والجزاء، والمعنى: أنفقوا طائعين أو مكرهين لن يُتقبل منكم[٢].

هذا يدخل في معنى التسوية، وهو ما يفيده كلام الزجاج (أنفقوا طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم)، أي أن النتيجة أو المحصلة واحدة وهي عدم القبول.

وقد يكون معنى التيئيس هو نتيجة للمعنى الأول وهو التسوية، أي بمعنى أنهـم لمـا علموا أن المحصلة واحدة وهي عدم القبول دخل ودبّ اليأس إلى قلوبهم بعد معرفة النتيجـة التي جاءتهم على خلاف ما توقعوا.

وقوله عز وجل: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾[٣]

يعني به يوم القيامة، وكانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لها عند الله فأيئسهم الله من ذلك[٤].

(1) التوبة ٥٣.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٦٥.

(3) البقرة ٤٨.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١/١١٧.

ثانيا: الاستفهام:

لغة: فهم: الفَهْمُ: معرفتك الشيء بالقلب. فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة، وفَهِمْت الشيء: عَقَلْتُه وعرَفْته، وفَهَّمْت فلاناً وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الكلام: فَهِمه شيئاً بعد شيء. ورجل فَهِمٌ: سريع الفَهْم، ويقال: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إياه: جعله يَفْهَمُه. واسْتَفْهَمه: سأَله أن يُفَهِّمَه. وقد اسْتفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تفهيماً[١].

اصطلاحا:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة مخصوصة[٢].

وقال الزركشي: الاستخبار هو الاستفهام: الثاني الاستخبار، وهو طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام، أي طلب الفهم، ومنهم من فرق بينهما بأن الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم، فإن سألت عنه عنه ثانيا كان استفهاما[٣].

وهو قسمان: بمعنى الخبر، وبمعنى الإنشاء:

الاستفهام بمعنى الخبر: وهو ضربان، أحدهما نفي والثاني إثبات، فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكاري، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقريري لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب وبالثاني إقراره به[٤].

---

(1) لسان العرب (فهم) ١٦٨/٥.

(2) معجم المصطلحات البلاغية ١٨١/١.

(3) البرهان ٣٢٦/٢.

(4) البرهان ٣٢٨/٢.

أدوات الاستفهام:

التفريق بين هل والهمزة في الاستفهام وإفادته:

فرق الزجاج بين الهمزة وهل الاستفهاميتين في شرحه لقول الله عز وجل: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[١]

يقول الزجاج: معنى نبذه رفضه ورمى به، ونصبت "أو كلما عاهدوا" على الظرف. وهذه الواو في "أو كلما" تدخل عليها ألف الاستفهام، لأن الاستفهام مستأنف، والألف أُم حروف الاستفهام، وهذه الواو تدخل على هل فتقول: وهل زيد عاقل، لأن معنى ألف الاستفهام موجود في هل، فكأن التقدير أوهل، إلا أن ألف الاستفهام وهل لا يجتمعان لإغناء هل عن الألف[٢].

للاستفهام أدوات كثيرة منها ما يفيد التصور، ومنها ما يفيد التصديق، ومنها ما يفيد التصور والتصديق معا.

ما يفيد التصور والتصديق: الهمزة، والتصور هو طلب تعيين المفرد.

وما يفيد التصديق: هل، والتصديق هو السؤال عن الحكم.

وباقي أدوات الاستفهام نحو، ما، متى، من، أيان، أين، أنى، كيف، كم، أي، فإنها تفيد التصور.

الاستفهام الحقيقي:

في قوله عز وجل: ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾[٣]

---

[1] البقرة ١٠٠.

[2] معاني القرآن وإعرابه ١/١٦٠-١٦١.

[3] البقرة ٣٠.

يقول الزجاج: وتأويل استخبارهم هذا على جهة الاستعلام وجهة الحكمة، لا على الإنكار، فكأنهم قالوا: يا لله، إن كان هذا ظننا فعرفنا وجه الحق فيه: وقال قوم: المعنى فيه غير هذا وهو أن الله عز وجل أعلم الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة، وأن من الخليفة فرقة تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم، وأذن الله عز وجل للملائكة أن يسألوه عن ذلك، وكان إعلامه إياهم هذا زيادة في التثبيت في نفوسهم وأنه يعلم الغيب، فكأنهم قالوا: أتخلق فيها قوما يسفكون الدماء ويعصونك؟ وإنما ينبغي إذا عرفوا انك خلقتهم أن يسبحوا بحمدك كما نسبح، ويقدسوا كما نقدس، ولم يقولوا هذا إلا وقد أُذن لهم، ولا يجوز على الملائكة أن تقول شيئا تتظنى فيه، لأن الله تعالى وصفهم بأنهم يفعلون ما يؤمرون[١].

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام:

من الأغراض البلاغية للاستفهام التي تناولها الزجاج وعلق عليها.

١- التقرير والتوبيخ:

وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده[٢].

قوله عز وجل: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾[٣]

قال الزجاج: أما الألف ألف استفهام ومعناه: التقرير والتوبيخ ههنا، كأنه قيل لهم: أنتم على هذه الطريقة، ومعنى هذا الكلام_ والله أعلم_ أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بكتابهم ويتركون هم التمسك به، لأن جحدهم النبي صلى الله عليه وسلم هم تركهم التمسك به[٤].

التقرير بمعنى الإثبات، ويظهر في قول الزجاج "أنتم على هذه الطريقة"، وبقيه كلامه لإفادة التوبيخ حينما خالف فعلهم قولهم.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١٠٢/١.

(2) البرهان ٣٣١/٢.

(3) البقرة ٤٤.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١١٤/١-١١٥.

ومثله قوله:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [١]

يوضح الزجاج التقرير فيقول: وهذه ألف توقيف وتقرير، لأن الجواب معلوم، كما أنك إذا قلت: من يفعل السيئات يشْقَ،ومن يفعل الحسنات يسعد ثم قلت: الشقاء أحب إليك أم السعادة. فقد علم أن الجواب السعادة، فهذا مجرى ألف التوقيف والتقرير [٢].

كقوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٣]

هذه الألف لفظها لفظ استفهام ومعناها التقرير والتوبيخ، وإنما قيل لهم "أكفرتم بعد إيمانكم" لأنهم كفروا بالنبي وقد كانوا به مؤمنين قبل مبعثه[٤].

وهذا معناه إثبات التهمة أولا، لإتمام التوبيخ ثانيا فيكون توبيخا على أمر مثبت لا يستطيع صاحبه أن ينكر أو ينفي أو يدافع.

٢- التسوية:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥]

ترفع سواء بالابتداء، وتقوم " **أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** " مقام الخبر كأنه بمنزلة قولك: سواء عليهم الإنذار وتركه. وسواء موضوع موضع مستو، لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماء الفاعلين إلا وتأويلها تأويل أسمائهم.

فأما دخول ألف الاستفهام ودخول أم التي للاستفهام والكلام خبر فإنما وقع ذلك لمعنى التسوية، والتسوية آلتها ألف الاستفهام وأم[٦].

---

(1) محمد ١٤.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٨/٥.

(3) آل عمران ١٠٦.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٢/١.

(5) البقرة ٦.

(6) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٧.

والمعنى الذي قصده الزجاج في قوله: " ترفع سواء بالابتداء، وتقوم " **أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** " مقام الخبر" (أي إنذارك وعدم إنذارك سواء)، هو ما قاله البلاغيون فيما بعد، أن الكلام على ضربين: إما خبر وإما إنشاء أي لا ثالث لهما، فإن جاء الكلام في سياق الاستفهام الذي هو من الإنشاء الطلبي، إلّا أنه عندما يخرج من المعنى الحقيقي للاستفهام يخرج من دائرة الإنشاء وعليه لا يقع إلّا في دائرة الخبر من خلال الغرض البلاغي الذي أفاده وهو التسوية.

٣- التعجب:

قال الزركشي في تفسيره سورة الصف: معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله[١].

قال عز وجل:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢]

شرح الزجاج: وتأويل كيف أنها استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب إنما هو للخلق وللمؤمنين، أي أعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم[٣].

ومثله قوله : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾**[٤]

قال الزجاج: هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه، ولفظها لفظ استفهام، تقول في الكلام: ألم تر إلى فلان صنع كذا وصنع كذا[٥].

---

(1) البرهان ٣١٧/٢.

(2) البقرة ٢٨.

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٠/١.

(4) البقرة ٢٥٨.

(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢٩٠/١.

وكذلك قوله: ﴿**أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[١]

هذا موضع عجب لأنهم أنكروا البعث، ثم أعلم الله _عز وجل_ أن المستفهم بعد البيان والبرهان عن هذا على وجه الإنكار كافر[٢]. فقال: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾[٣]

٤- النفي:

في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ**﴾[٤]

موضع (من) رفع ولفظها لفظ استفهام، المعنى: وأي أحد أظلم ممن منع مساجد الله[٥].

ومن هنا استفهامية أشربت معنى النفي فأعطت المعنى الثاني للاستفهام وهو النفي[٦].

وهو يقصد بذلك أن الاستفهام أفاد غرضا بلاغيا وهو النفي الذي يحمل الإجابة على السؤال بلا، أي: لا يوجد أحد أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

وهو ليس باستفهام حقيقي لأن المستفهم هو الله الذي وسع كل شيء علما.

وقوله: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ**﴾[٧]

أوضح الزجاج الغرض من الاستفهام هنا فقال: يعني بهم هؤلاء الذين هم علماء اليهود، لأنهم قد علموا أن رسالة النبي حق، وإنما كفروا حسدا _كما قال الله عز وجل_ وطلبا

---

(1) الرعد ٥.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١١٣/٣.

(3) الرعد ٥.

(4) البقرة ١١٤.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١٧٢/١.

(6) البرهان ٤١١/٤.

(7) البقرة ١٤٠.

لدوام رياستهم وكسبهم، لأنهم كانوا يتكسبون بإقامتهم على دينهم فقيل ومن أظلم ممن كتم أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد أظلم منه[1]. وهذا على غرار ما تقدم في الشاهد السابق.

٥- الأمر:

كشف الزجاج عن الغرض البلاغي الذي خرج إليه الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ **أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[٢]

قال: هذا على وجه التوبيخ ومعناه الحض على قتالهم[٣].

أي قاتلوا قوما، وهو يحمل معنى الأمر الحقيقي طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، لكنه لم يأت بصيغة من صيغه الأربعة المعهودة، وهذا يدل على وجود فرق بين الأمر والاستفهام، فالأمر يترتب عليه إلزام والاستفهام يترتب عليه إقرار من المخاطب.

فلو خالف بعد ذلك تأتي مخالفة بعد إقرار، وبهذا يتحمل المسؤولية كاملة.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾[٤]، فالمخالفة بعد هذا الإقرار مخالفة عن قصد يتحمل صاحبها كل تبعاتها.

٦- التوبيخ:

جعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا الإنكار توبيخ، والمعنى إن ما بعده واقع جدير بأن ينفى، فالنفي هنا قصدي والإثبات قصدي، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضا[٥].

ومثله قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ**﴾[٦]

يقول الزجاج: هذه الواو للملائكة (أي) قال الملائكة للمشركين: "فيم كنتم" ، أي أكنتم في المشركين أم في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهذا سؤال توبيخ[٧] لهم على فعل قد فعلوه كما جاء في كلام الزجاج، لأن الإنكار التوبيخي دوما يلحق بالأفعال وهو عكس التكذيبي الذي يلحق بالأقوال.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١/١٩٠.

(2) التوبة ١٣.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٥٢.

(4) الأعراف ١٧٢.

(5) البرهان ٣٣٦.

(6) النساء ٩٧.

(7) معاني القرآن وإعرابه ٢/٧٧.

ومنه أيضا قول الله جل وعز:

﴿أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١]

وضح الزجاج معنى التوبيخ فقال: المعنى أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا، وهذه الواو مفتوحة لأنها واو عطف دخلت عليها ألف التوبيخ، وهي ألف الاستفهام فبقيت الواو مفتوحة على ما يجب عليها[٢].

٧- الإنكار:

والمعنى فيه على النفي وما بعده منفي، ولذلك تصحبه إلا[٣].

الأغراض التي جاءت مع الإنكار كما فسرها الزجاج كما يلي:

١_ الإنكار والتوبيخ:

ذكر الزجاج في شرحه الاستفهام بغرض الإنكار والتوبيخ، ما بيّنه في قول الله عز وجل:

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[٤]

ويظهر هذا من خلال شرحه للآية "معنى من التقرير والتوبيخ فيقول: أي ارتدتّم عن دينكم، وروي أن بعض من كان في يوم أحد ارتد وبعضهم مضى مسافة ثلاثة أيام، فأعلم الله عز وجل أن الرسل ليست باقية في أممها أبدا وأنه يجب التمسك بما أتت وإن فقد الرسول بموت أو قتل.

---

(1) البقرة ١٧٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢١٠/١.

(3) البرهان ٣٣٠/٢، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٨٥/١.

(4) آل عمران ١٤٤.

وألف الاستفهام دخلت على حرف الشرط ومعناها الدخول في الجزاء، المعنى: أتنقلبون على أعقابكم إذا مات محمد أو قتل، لأن الشرط والجزاء معلق أحدهما بالآخر، فدخلت ألف الاستفهام على الشرط وأنبأت عن معنى الدخول على الجزاء[١].

وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[٢]

قال الزجاج: معنى "من" التقرير والتوبيخ، ولفظها لفظ استفهام، وموضعها رفع بالابتداء، والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه[٣].

٢- الإنكاري التكذيبي:

وهو الإنكار الذي يلحق بالأقوال دون الأفعال، فقد يصحب الإنكار التكذيب للتعريض بأن المخاطب ادعاه وقصد تكذيبه[٤].

كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٥]

وضح هذا المعنى في قوله: فالمسأله هنا على وجه التوبيخ للذين ادعوا عليه لأنهم مجمعون أنه صادق الخبر وأنه لا يكذبهم و(هو) الصادق عندهم فذلك أوكد في الحجة عليهم وأبلغ في توبيخهم، والتوبيخ ضرب من العقوبة[٦].

والآية فيها تكذيب لهم على دعواهم بدليل الآية اللاحقة "إن كنت قلته فقد علمته".

---

[1] معاني القرآن وإعرابه ٣٩٨/١.

[2] البقرة ١٣٠.

[3] معاني القرآن وإعرابه ١٨٢/١.

[4] البرهان ٣٣٠.

[5] المائدة ١١٦.

[6] معاني القرآن وإعرابه ١٨٠/٢.

٣- استفهام إنكاري أفاد معنى التقرير:

ذكر الزجاج هذا الغرض أثناء تفسيره بقول الله تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُم﴾[1].

قال الزجاج: هذه الألف ألف استخبار، وتجري في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي إذا لم يكن معها نفي، كأنه أيأسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة من اليهود.

فإذا كان في أول الكلام نفي، فإنكار النفي تثبيت. نحو قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى﴾[2] . فجواب "أفتطمعون" (لا) كما وصفت[3].

يتضح معنى الإنكار الذي أفاد معنى التقرير في قول الزجاج: النفي تثبيت، فالتثبيت هو التقرير كما وضحت من قبل.

---

(1) البقرة ٧٥.

(2) الملك ٨-٩.

(3) معاني القرآن وإعرابه ١٤٢/٢.

ثالثا: النهي

النَّهْيُ: خلاف الأَمر. نَهاه يَنْهاه نَهْياً فانْتَهى وتناهى:كَفَّ.(١)

وفي اصطلاح البلاغيين وهو عبارة عن قول ينبئ عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، كقولك: لا تفعل، ولا تخرج، فقولنا: قول ينبئ، يدخل فيه جميع ما يدل على المنع من الفعل في سائر اللغات، وقولنا على جهة الاستعلاء، تحترز به عن الرتبة فإنها غير معتبرة(٢).

كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ**﴾(٣)

حرم الله أن تعضل المرأة، ومعنى تعضل تحبس عن التزويج، كان الرجل منهم إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها لتفتدي منه.

فأعلم الله _عز وجل_ أن ذلك لا يحل، و"تعضلوهن" يصلح أن يكون نصب ويصلح أن يكون جزما.

أما النصب فعلى: أن لا يحل لكم أن ترثوا النساء، ويصلح أن يكون جزما على النهي(٤).

وأيضا قوله تعالى:

﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**﴾(٥)

---

(1) لسان العرب(نهي) ٢٩٦/٦.

(2) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: تأليف يحيى بن حمزة بن علي إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ٢٨٤/٣.

(3) النساء ١٩.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٥/٢.

(5) النور ٣١.

يقول الزجاج: كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الخلخال، وربما كان فيها الخلاخل إذا ضربت برجلها علم أنها ذات خلخال وزينة، وهذا يحرك الشهوة، فنهى عنه، كما أُمرن ألا يبدين، لأن استماع صوته بمنزلة إبدائه(١).

علاقة النهي بالأمر:

اعلم أن الأمر والنهي يتفقان في أن كل واحد منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء وأنهما جميعا يتعلقان بالغير فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرا لنفسه أو ناهيا لها، وأنهما جميعا لا بد من اعتبار حال فاعلها في كونه مريدا لها، على غير ذلك من الوجوه الاتفاقية، ويختلفان في الصيغة لأن كلا منهما مختص بصيغة تخالف الآخر، ويختلفان في أن الأمر دال على الطلب، والنهي دال على المنع، ويختلفان أيضا أن الأمر لا بد فيه من إرادة مأمورة، وأن النهي لا بد فيه من كراهية منهية(٢).

ومنه قوله تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

كشف الزجاج عن علاقة النهي بالأمر بقوله: يقال لبست عليهم الحق ألبسه إذا أعميته عليهم، ولبس الثوب ألبسه، ومعنى الآية: "لا تلبسوا الحق" والحق هنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أتى به من كتاب الله عز وجل، وقوله "بالباطل" أي ما يحرفون، وقوله عز وجل "وانتم تعلمون" أي تأتون لبسكم والحق كتمانه على علم منكم و بصيرة، وإعراب" ولا تلبسوا" الجزم بالنهي، وعلامة الجزم سقوط النون" (٤).

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣٢/٤.

(2) الطراز ٥٣١- ٥٣٢.

(3) البقرة ٤٢.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١١٤/١.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي:

أولا الأمر:

وذلك في قوله جل وعز:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [١]

لفظ النهي على الموت، والمعنى: واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام.
المعنى: كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك.
وإنما جاز هذا لأنه ليس في الكلام لبس، لأنه يعلم منه أنهم لا ينهون عما لا يفعلون[٢].

ثانيا الائتناس:

في قوله: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[٣]

يقول الزجاج: لما أصبح المشركون اجتازوا بالغار، فبكى أبو بكر الصديق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك، فقال: أخاف أن تُقتل فلا يُعبد الله بعد اليوم. فقال رسول الله "لا تحزن إن الله معنا"[٤].

ثالثا التفخيم:

وذلك متمثل في تفسير الزجاج لقول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾[٥]

---

[1] آل عمران ١٠٢.
[2] معاني القرآن وإعرابه ٣٧٨/١.
[3] التوبة ٤٠.
[4] معاني القرآن وإعرابه ٣٦٢/٢.
[5] البقرة ١١٩/٢.

يقول الزجاج: "وتُقرأ (ولا تَسأل) ورفع القراءتين جميعا من جهتين: إحداهما أن يكون (ولا تُسأل) استئنافا كأنه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال عز وجل: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾[1]

ويجوز أن يكون له الرفع على الحال، فيكون المعنى: أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم.

ويجوز أيضا: "ولا تَسأل عن أصحاب الجحيم" وقد قرأ به فيكون جزما بلا، وفيه قولان على ما توجبه اللغة: أن يكون أمره الله بترك المسألة، ويجوز أن يكون النهي لفظا، ويكون المعنى على تفخيم ما أعدّ لهم من العقاب، كما يقول لك القائل الذي تعلم أنت أنه يجب أن يكون ما تسأل عنه في حال جميلة أو حال قبيحة، فتقول لا تسأل عن فلان أي قد صار إلى أكثر ما تريد[2].

رابعا بيان العاقبة:

كقوله عز وجل:

﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [3]

قال الزجاج: بإضمار مكنيهم: أي لا تقولوا هم أموات. فنهاهم الله أن يسموا من قتل في سبيل الله ميتا، وأمرهم بأن يسموهم شهداء فقال: "بل أحياء عند ربهم يرزقون" فأعلمنا أن من قتل في سبيل الله حي[4].

يوضح الزجاج في شرح هذه الآية عاقبة المؤمنين الذين يُقتلون في سبيل الله، أي عاقبة القتل في سبيل الله أنه ينال الشهادة ويبقى حيا.

ومنه قوله: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾[5]

أي عاقبة الظلم العذاب لا الغفلة[6].

---

(1) الرعد ٤٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/١٧٦.

(3) البقرة ١٥٤.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٠٠.

(5) إبراهيم ٤٢.

(6) من بلاغة القرآن: علوان ص٥٠.

رابعا: النداء

لغة:

النَّداءُ والنُّداء: الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء ، وقد ناداه ونادىبه وناداه مُناداة ونِداء أي صاح به[١].

ومعنى النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك، هذا هو الأصل في النداء، وقد تخرج صيغة النداء إلى أن يكون المراد منها عند الإقبال، بل يراد منها التخصيص.

كقولك: أما أنا فافعل كذا أيّها الرّجل، ونحن نفعل كذا أيها القوم[٢].

ويعرفه الزركشي: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص، وإنما يصبح في الأكثر الأمر والنهي[٣].

وقوله: بحرف مخصوص، يعني أحد أدوات النداء، وللنداء عدة أدوات وهي: الهمزة، آ، وأيا، وأي، وآي، وهيا، و وا، ويا. وبعض هذه الأدوات للقريب، وبعضها للبعيد.

وذلك في قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[٤]

قال الزجاج: نصب بني إسرائيل بأنه نداء مضاف، وأصل النداء النصب لأن معناه معنى ناديت، ودعوت[٥].

وقد تطلق صيغته _النداء_ على لازمه وهو الاختصاص، نحو:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ونحن العرب أقرى للنزل

---

(1) لسان العرب(ندي) ١٥٦/٦.

(2) الطراز ٢٩٣/٣.

(3) البرهان ٣٢٣/٢.

(4) البقرة ٤٠.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١١٠/١.

أي مختصين بهذا الاسم، وحكمه في الإعراب حكم المنادى[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[٢]

قال الشوكاني في نصب أهل البيت"المدح أو الاختصاص"[٣]. فالاختصاص غرض من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء، وقد بين الشوكاني هذا الغرض في تفسيره للآية السابقة بقوله "أو الاختصاص" وعليه يكون الغرض من النداء الاختصاص على رأي محمد الجرجاني.

يقول الزركشي: يستعمل النداء في غير معناه مجازا في مواضع ... الثاني: الاختصاص، وهو كالنداء إلا أنه لا حرف فيه[٤].

---

(1) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق د.عبد القادر حسين، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر_الفجالة_القاهرة،ص١٢٠.

(2) هود: ٧٣.

(3) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث_القاهرة، ٢٠٠٣م، ٢/٦٤٤.

(4) البرهان ٢/٣٢٥.

خامسا: التمني

في اللغة:

التَّمَنِّي تَشَهِّي حُصُولِ الأَمر المَرْغوب فيه، وتَمَنَّى الشيءَ: أَراده، ومَنَّاه إِياه وبه، وهي المِنْيةُ والمُنْيةُ والأُمْنِيَّةُ[١].

وفي الاصطلاح:

هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، واللفظ الموضوع له ليت، ولا يشترط إمكان التمني، لأن الإنسان كثيرا ما يحب المحال ويطلبه، فهو قد يكون ممكنا كما تقول: ليت زيدا يجيء. وقد يكون محالا كما تقول ليت الشباب يعود، لكنه إذا كان ممكنا يجب ألا يكون لك توقع وطماعية في وقوعه، وإلا لصار ترجيا[٢].

والفرق بينه وبين الترجي أنه يدخل في المستحيلات، والترجي لا يكون إلا في الممكنات[٣].

الفرق بين التمني والترجي:

التمني قسم من أقسام الإنشاء الطلبي، والترجي قسم من أقسام الإنشاء غير الطلبي وأفعال الرجاء: عسى وحرى واخلولق.

ولهذا تدرك أن ما استقر عند بعض الناس أن التمني طلب المستحيل والترجي طلب الممكن خال من الدقة، لأن التمني قد يكون لغير المستحيل.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الترجي ليس طلبا وإنما هو ترقب حصول الشيء[٤].

---

(1) لسان العرب (مني) ١٠٢/٦.

(2) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق د. عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية_ بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٠٧.

(3) البرهان ٣٢٣/٢.

(4) من بلاغة القرآن، علوان ص٦٨-٦٩.

يكشف الزجاج عن معنى التمني في قول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[١]

يقول الزجاج: قيل: لا ينبغي أن يتمنى الرجل مال غيره ومنزل غيره، فإن ذلك هو الحسد، ولكن ليقل: اللهم إني أسألك من فضلك، وقيل إن أم سلمة قالت: ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وغزونا وكان لنا ثواب الرجال. وقال بعضهم: قال الرجال: ليتنا فُضّلنا في الآخرة على النساء كما فُضّلنا في الدنيا. وهذا كله يرجع إلى تمني الإنسان ما لغيره[٢].

التمني بـ(ليت):

في قوله تعالى:

﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣]

وضح الزجاج التمني بالفاء في قوله: "فأفوز" منصوب على جواب التمني بالفاء[٤]، وجواب التمني جاء مقرونا بالفاء (فأفوز).

---

[1] النساء ٣٢.

[2] معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٧.

[3] النساء ٧٣.

[4] معاني القرآن وإعرابه ٢/٦٢.

ثالثا: التكرار

في اللغة:

كَرَّر الشيء وكَرْكَره: أعاده مرة بعد أُخرى، ويقال: كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إِذا ردّدته عليه[١].

وفي الاصطلاح: هو دلالة اللفظ على المعنى مردّدا[٢]، وينقسم إلى قسمين: تكرار في اللفظ والمعنى، وتكرار في المعنى دون اللفظ.

ومن التكرار في المعنى دون اللفظ:

قوله: ﴿ **وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾[٣]

قال الزجاج: هذا التكرير تكرير في الوعد، أي فعجل هذه يعني خيبر[٤].

من الأغراض البلاغية للتكرار:

١ - التوكيد:

في قوله عز وجل: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ**﴾[٥]

جاء في التفسير أن تبنى، وقال الحسن: تأويل "أن ترفع" أن تعظّم.

---

(1) لسان العرب (كرر) ٥/٣٩٠.

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة- مصر، ط٢، ٢/٣٤٥.

(3) الفتح ٢٠.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢١.

(5) النور ٣٦.

و"في" من صلة قوله كمشكاة. المعنى كمشكاة في بيوت، أي من مساجد، وقال الحسن: يعني به بيت المقدس ويجوز ان تكون "في" متصلة بـــ "يسبّح" ويكون فيها تكريرا على التّوكيد، فيكون المعنى: يسبّح لله رجال في بيوت أذن لأن ترفع[١].

٢- التكرار الذي يفيد تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع:

قوله عز وجل: ﴿**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٢]

ذكر الزجاج: القراءة الجيدة الرفع، وكذلك إذا كررت "لا" في الكلام قلت لا رجل عندي ولا زيدٌ و ﴿**لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ**﴾[٣]

وإن قرئ فلا خوفَ عليهم فهو جيد بالغ الجودة وقد قرئ به[٤].

٣- التكرار الذي يفيد التفخيم:

بين الزجاج الغرض من التقديم والتأخير أنه يفيد التفخيم والتعظيم وهو ضد التحقير.

وذلك في قوله لشرح قول الله جل وعلا:

﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[٥]

ولو كانت "إليه ترجع الأمور" لكان حسنا، ولكن إعادة اسم الله أفخم وأوكد.

والعرب إذا جرى اسم شئ مفخم أعادوا لفظه مظهرا غير مضمر، وأنشد النحويون قول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فأعادوا ذكر الموت لفخامة في نفوسهم.[٦].

ولعل التفخيم الذي يريده يظهر من القصر الحقيقي في الآيه لأنه جاء بطريق تقديم ما حقه التأخير، والجار والمجرور مقصور عليه، وإرجاع الأمور مقصور، فبهذا يكون المعنى قصر إرجاع الأمور إلى الله قصرا حقيقيا، أي لا يمكن أن يشاركه أحد غيره في هذه الصفة، وهذا هو معنى التفخيم في الآية.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣٦/٤.

(2) البقرة ٦٢.

(3) الصافات ٤٧.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١٣٣/١.

(5) آل عمران ١٠٩.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٣/١.

رابعا: التعريف والتنكير

التعريفُ: الإعْلامُ. والتَّعريف أَيضاً: إنشاد الضالة. وعرَّفَ الضالَّة: نَشَدها. واعترَفَ القومَ: سأَلهم، وقيل: سأَلهم عن خَبر ليعرفه[١]، والنَّكِرَةُ إِنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة. والنَّكِرَةُ: خلاف المعرفة. ونَكِرَ الأَمرَ نَكِيراً وأَنْكَرَه إِنْكاراً ونُكْراً: جهله[٢].

اعلم أن المعرفة ما دلت على شيء بعينه، والنكرة ما دلت على شيء لا بعينه، ولا يجوز تعريف حقيقة المعرفة بأمر لفظيّ لأمرين:

أمّا أولا: فلأن المقصود بيان الماهية، وهذا لا يحصل إلا بالأمور المعنوية دون اللفظية، وأمّا ثانيا: فلأن بعض المعارف يكون في معنى النكرة[٣].

وتتفاوت النكرات أيضا في مراتب التنكير، وكلما ازدادت النكرة عموما زادت إبهاما في الوضع[٤]، وعلى ذلك فالمعرفة أخص من النكرة، وكلما كانت أخص كانت أتم دلالة على المراد من النكرة، وتستخدم المعارف في القرآن الكريم في مواضعها الجديرة بها، ولها أغراض بلاغية يمكن أن تفهم من سياق الآيات[٥]، كذلك تستخدم النكرة في آيات القرآن الكريم. منها:

التنكير للمبالغة:

في قوله عز وجل: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾[٦]

معنى **يَسُومُونَكُمْ** في اللغة يولونكم، ومعنى سوء العذاب شديد العذاب وإن كان العذاب كله سوءا، فإنما نكر في هذا الموضع لأنه أبلغ ما يعامل به مرعيّ فلذلك قيل سوء العـذاب، أي ما يبلغ في الإساءة لا غاية بعده[٧].

---

(1) لسان العرب (عرف) ٣٠٩/٤.

(2) لسان العرب (نكر) ٢٥٤/٦.

(3) الطراز ١١/٢.

(4) الطراز ٢/ ١٢.

(5) من بلاغة القرآن: علوان ص٧٢.

(6) البقرة ٤٩.

(7) معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١.

التقديم والتأخير

التـــأخير ضد التقديم، ومؤخر كل شيء بالتشديد: خلاف مقدمه[١].

وهو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم فـــي الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق[٢].

واختلفوا في عده من المجاز، فمنهم من عده منه لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل كل واحد منها عن رتبته وحقه،[٣] والصحيح أنـــه لـــيس منه، فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع له[٤].

من الأغراض البلاغية للتقديم:

١- التخصيص:

يقول الزجاج في تفسيره لقول الله تعالى:
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ [٥]

فيها نور أي بيان أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حق، وفيها بيان الحكم الـــذي جاءوا يستفتون فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ويجـــوز أن يكـــون المعنـــى علـــى التقـــديم والتأخير[٦].

وتقديم الجار والمجرور **(فيها)** أفاد التخصيص وهو الغرض البلاغي الذي أفاده التقديم في الآية كما ورد في قوله تعالى: **﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾**[٧]

---

(1) لسان العرب (أخر) ٧٤/١.

(2) البرهان ٢٣٣/٣.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣٢٥/٢.

(4) البرهان ٢٣٣/٣.

(5) المائدة ٤٤.

(6) معاني القرآن وإعرابه١٤٤/٢.

(7) الصافات ٤٧.

وعلى ذلك فالتقديم والتأخير من أجزاء الكلام لا يأتي اعتباطا، وإنما يكــون لغــرض بلاغي مقصود[1].

وهو كذلك قصر جاء بطريق تقديم ما حقه التأخير الذي يفيد التخصيص إذ أنه جــل شأنه قصر وجود الهدى والنور في التوراة المنزلة من عند الله.

٢- التقديم للأسبق زمنا:

ومنه قوله:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

قال الزجاج: موضع "إذ" نصب، والمعنى اذكر إذ أخذنا، فذكره الله عز وجل في أخذ الميثاق قبل نوح، وجاء في التفسير: إنّي خُلِقْتُ قبل الأنبياء وبعثت بعدهم، فعلى هذا القول لا تقديم في هذا الكلام ولا تأخير، هو على نسقه[3].

وقوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَــى الْمَرَافِــقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَــى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُــوا صَــعِيدًا طَيِّبًــا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيــدُ لِيُطَهِّــرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

القراءة بالنصب، وقد قرئت بالخفض، وكلا الوجهين جائز في العربيــة، فمــن قــرأ بالنصب فالمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبــين، وامــسحوا برؤوسكم، على التقديم والتأخير، والواو جائز فيها ذلك[5].

---

(1) من بلاغة القرآن: علوان ص٨٧.

(2) الأحزاب ٧.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٤ /١٦٤.

(4) المائدة ٦.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١٢٣/٢.

أسلوب القصر

القصر في اللغة: ذكر الزجاج المعنى اللغوي للحصر والقصر في قول الله عز وجل:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[١]

الرواية عند أهل اللغة أنه يقال للرجل الذي يمنعه الخوف أو المرض من التصرف قد أحصر فهو محصر_ ويقال للرجل الذي حبس قد حصر فهو محصور[٢].

ومثله قوله تعالى: ﴿ **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ [٣]

أي محبوسات فيها.

أما عند البلاغيين: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[٤]،فالشيء الأول هو المقصور، والثاني هو المقصور عليه، وهما ركنا أو طرفا القصر، والطريق المخصوص هو أداة القصر.[٥]

ويقول محمد الجرجاني: ت ٧٢٩هـ

القصر هو: إما قصر الموصوف على صفة نحو: ما زيد إلا كاتب، أو قصر الصفة على الموصوف، نحو: ما الكاتب إلا زيد، وما في الدار غير عمرو، وفي الاول يجوز أن يشارك الموصوف في الصفة غيره ولا يجوز أن يتصف بصفة أخرى، ولذلك لا يتفق صدقه، لوجوب تعدد أوصاف ذات واحدة وفي الثاني بالعكس فيها.

والقصر في المحاورات إما: قصر إفراد، أو قصر قلب، أو قصر تعيين.[٦]

---

(1) البقرة ١٩٦.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٠/١.

(3) الرحمن ٧٢/٥٥.

(4) التلخيص في علوم البلاغة: القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوني، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٣٢، ص١٣٧.

(5) من بلاغة القرآن، علوان ص١٠٧.

(6) الإشارات والتنبيهات ص٨٩.

قد ألمّ هذا التعريف بأقسام القصر باعتباره الحقيقة والإضافة، والقصر باعتبار الطرفين. والقصر باعتبار حال المخاطب بأقسامه الثلاثة.
قد تحدث الزجاج في تفسيره بذكر القصر من عدة طرق منها:

١- القصر بطريق تقديم ما حقه التأخير.

وقد وضحت ذلك من خلال ذكره الغرض البلاغي للتقديم وهو التفخيم في الصفحات السابقة.

٢- القصر باستخدام (إنما):

ذكر الزجاج "إنما" وهي من صيغ القصر في قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾[١]

يقول الزجاج: النصب في الميتة وما عطف عليها هو القراءة، ونصبه لأنه مفعول به، دخلت "ما" تمنع إن من العمل، ويليها الفعل ويجوز : "إنما حرّم عليكم الميتةُ"، والذي اختاره أن يكون ما تمنع أن من العمل، ويكون المعنى (ما حرم عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير)، لأن "إنما" تأتي إثباتا لما يذكر بعدها لما سواه.[٢]

فيها قصر بطريق إنما التي تفيد النفي والاستثناء، وهي تثبت ما بعدها وتنفيه عما سواه، وهذه أهم فائدة تفيدها إنّما.

يقول القزويني في الإيضاح: والدليل على أنها تفيد القصر _ يقصد إنّما_ كونها متضمنة معنى "ما" و "إلاّ" لقول المفسرين في قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ**﴾ بالنصب: معناه (ما حرّم عليكم إلّا الميتة) وهو مطابق لقراءة الرفع، ولقول النحاه: "إنّما" لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه.[٣]

---

(1) البقرة ١٧٣.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢١٠/١.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، ط٣، ١٩٧١، ص٢١٦.

٣- القصر بالنفي والاستثناء:

في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ (١)
قال الزجاج: دخلت "من" مؤكدة، والمعنى ما اله إلا اله واحد.(٢)
فالخالق عز وجل قصر الإلوهية على نفسه.

الفرق بين إنّما والنفي والاستثناء:

١- المقصور عليه في إنّما المتأخر دائما، أما ما كان بطريقة النفي والاستثناء فالمقصور عليه يأتي دائما بعد إلّا مباشرة.

٢- إنّما تقع في الأمور التي لا مجال للشك فيها، بينما النفي والاستثناء يستعمل في الأمور المجهولة ويكون فيها الشك والإنكار.

---

(1) المائدة ٧٣.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١٥٨/٢.

ولهذا الأسلوب عدة صور منها:

أولا: الالتفات

يقال لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه. ويقال لفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه. ومنه الالتفات.(١)

وفي اصطلاح البلاغيين هذا غير مختص بالمسند إليه _يعني الالتفات_ ولا بهذا القدر، بل المتكلم والخطاب والغيبة مطلقا ينتقل كلّ واحد منها إلى الآخر، يسمى هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني.(٢)

وتتضح صور الالتفات في قول الخطيب القزويني بأن: "الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها".(٣)

ومن صور الالتفات التي ذكرها الزجاج في كتابه.

التعبير عن المخاطب بلفظ المتكلم:

وذلك متمثل في قول الخالق عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**(٤)

---

(1) لسان العرب (لفت).

(2) الإيضاح ص١٥٧.

(3) نفسه.

(4) المائدة ١٠٥.

قال الزجاج: وهذا النهي للفظ غائب يراد به المخاطبون. إذا قلت: لا يضررك كفر الكافر، فالمعنى: لا تعدّنّ أنت كفره ضررا، كما أنك إذا قلت: لا أرينّك ههنا، فالنهي في اللفظ لنفسك، ومعناه لمخاطبك، معناه لا تكوننّ ههنا.(١)

ثانيا: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.

وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢)

قال الزجاج: لفظ "يصدون" لفظ مستقبل عطف به على عطف الماضي، لأن معنى الذين كفروا: الذين هم كافرون، فكأنه قال (إن الكافرين والصادين).(٣)

ومثله قوله : **﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**(٤)

يشرح الزجاج هذه الآيات موضحا التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل فيقول: فلِم قيل لهم فلِم تقتلون أنبياء الله من قبل. وهؤلاء لم يقتلوا نبيا قط؟ قيل له قال أهل اللغة في هذا قولين: أحدهما أن الخطاب لمن شوهد من أهل مكة ومن غاب خطابا واحدا، فإذا قتل أسلافهم الأنبياء وهم مقيمون على ذلك المذهب فقد شركوهم في قتلهم، وقيل أيضا لِم رضيتم بذلك الفعل، وهذا القول الثاني يرجع إلى معنى الأول وإنما جاز هنا لفظ الاستفهام والمعنى: المضي لقوله: "من قبل" ودليل ذلك قوله: **﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾** (٥)، "فلِم تقتلون" بمنزلة "فلِم قتلتم".(٦)

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٧٣-١٧٤.

(2) الحج ٢٥.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٤١.

(4) البقرة ٩١.

(5) آل عمران ١٨٢.

(6) معاني القرآن وإعرابه١/١٥٥.

وأيضا قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾(١)

قال الزجاج: ما كانت تتلوه، والذي كانت الشياطين تلته في ملك سليمان كتاب من السحر فَلِبَهت(٢) اليهود وكذبهم ادعوا أن هذا السحر أخذوه عن سليمان وأنه اسم الله الأعظم، يتكسبون بذلك، فأعلم الله _عز وجل_ أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السحر، ومعنى "على ملك سليمان" على عهد ملك سليمان (عليهم) فبرأ الله عز وجل سليمان من السحر.(٣)

ثالثا: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي

وهذا فيه دلالة على أن لا بد من وقوع الفعل، وأن هذا الفعل مقطوع بصدقه ولا مجال للشك فيه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٤)

قال الزجاج: ومعناه يؤول إلى ما قاله الحسن وسيبويه، إلّا أن يكون الماضي بمعنى الحال يقلُّ.

وصاحب هذا القول له الحجة من قولنا "غفر الله لفلان" بمعنى: ليغفر الله لك، فلما كان في الحال دليل على الاستقبال وقع الماضي مؤديا عنها استخفافا.(٥)

---

(1) البقرة ١٠٢.

(2) بهت: بَهَتَ الرجلَ يَبْهَتُه بَهْتاً، وبَهَتاً، وبُهْتاناً، فهو بَهَّات أي قال عليه ما لم يفعله، فهو مَبْهُوتٌ. وبَهَتَه بَهْتاً: أَخذه بَغْتَةً.

(3) معاني القرآن وإعرابه ١٦٢/١.

(4) النساء ٩٦.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٧٦/٢.

رابعا: التعبير عن الجمع بلفظ المفرد

كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**﴾[١]

قال الزجاج: فيه قولان: قال بعضهم: "استوى إلى السماء"، عمد وقصد إلى السماء، كما تقول قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه قصد بالاستواء إليه، وقد قيل أيضاً استوى أي صعد أمره إلى السماء، وهذا قول ابن عباس.

والسماء لفظها لفظ الواحد، ومعناها معنى الجمع، والدليل على ذلك قوله: "فسواهنَّ سبع سماوات"، ويجوز أن يكون السماء جمعا كما إن السموات جمع كأن واحدهُ سَمَاةٌ و سماوةٌ وسماء للجميع.[٢]

ومنه قوله: ﴿**وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[٣]

وضح الزجاج معنى وضع المفرد موضع الجمع بقوله: يعني النبيين، لأنه قال: "ومن يطع الله والرسول فأولئك" أي المطيعون. "مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" أي الأنبياء ومن معهم (حسنوا) رفيقا[٤].

ويوضح الدكتوران محمد ونعمان علوان في كتابهما من بلاغة القرآن التعبير عن الجمع بلفظ المفرد في الآية السابقة بقولهما: فوضع المفرد (رفيقا) موضع الجمع رفقاء، لأن الجمع كنفس واحدة لشدة تماسكهم واتصالهم لا ينفصل أحد عن الآخر فصاروا كالذات الواحدة [٥].

ويتضح هذا المعنى أيضا في قوله تعالى :

﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[٦]

---

(1) البقرة ٢٩.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٠.

(3) النساء ٦٩.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢/٦٠.

(5) من بلاغة القرآن: علوان ص١٠٥.

(6) المائدة ٦٠.

ذكر الزجاج في تفسيره: فتأويل عَبَدُ: أن بلغ في الغاية في طاعة الشيطان، وكأنَّ اللفظ واحد يدل على الجمع(١).

ومثله قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(٢)

في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعة، كأنَّ طفلاً تدُلُّ على معنى: ويخرج كل واحد منكم طفلاً(٣).

خامسا: التعبير عن المفرد بلفظ الجمع

كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(٤)

وقرئت مسجد الله. فمن قرأ مسجدَ الله عنى به المسجد الحرام ودَخَل معه غيره، كما تقول: ما أسهل على فلان إنفاق الدرهم والدينار، أي هذا الجنس سهل عليه إنفاقه.

ويجوز أن يكون مساجد الله يعنى به المسجد الحرام، كما تقول: إذا ركب الرجل الفرس، قد صار فلان يركب الخيل، فعلى هذا تجري الأسماء التي تُعبِّر عن الأجناس(٥).

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١٥٢/٢.
(2) الحج ٥.
(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٥/٣.
(4) التوبة ١٨.
(5) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٦/٢.

ومثله أيضا: ﴿**لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾(١)

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وخطاب للناس ولأمته، والمعنى يدل على ذلك ويجوز، ليؤمنوا بالله ورسوله، وقد قرئ بها جميعا، وجائز أن يكون "لتؤمنوا بالله ورسوله" خطابا للمؤمنين وللنبي جميعا. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد آمن بالله وبآياته وكتبه ورسله.(٢)

وقد يخرج التعبير عن المفرد بلفظ الجمع إلى أغراض بلاغية تفهم من السياق كما وضّح الزجاج كالتعظيم والتبجيل .

وذلك في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾(٣)

قال فالمعنى يفضل الله، وكذلك إذا قال: ونفضّل بالنون لأن الإخبار عن الله بلفظ الجماعة كما قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ**﴾(٤)، وهذا خوطب به العرب لأنهم يستعملون فيمن يبجلونه لفظ الجماعة(٥).

سادسا: التعبير عن المؤنث بلفظ المذكر

كقوله تعالى:
﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ (٦)

---

(1) الفتح ٩.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١٧/٥-١٨.

(3) الرعد ٤.

(4) ق ٤٨.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١١٢/٣.

(6) البقرة ٢٧٥.

قال الزجاج: جاز تذكير "جاءه" وقال في موضع آخر، ﴿**قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[١]، لأن كل تأنيث ليس بحقيقي فتذكيره جائز، ألا ترى أن الوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد[٢].

وعلى كلام الزجاج فأن الموعظة هنا بمعنى الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس الكلمة الواعظة فهو يشتمل على مواعظ كثيرة، وهذا هو معنى قوله: "لأن كل تأنيث ليس بحقيقي فتذكيره جائز"، لأن الموعظة لم تكن مؤنثا حقيقيا.

سابعا: التعبير عن المذكر بلفظ المؤنث

في قوله جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[٣]

يعني من آدم عليه السلام، وإنما قيل في اللغة (واحدة) لأن لفظ النفس مؤنث، ومعناها مذكر في هذا الموضع، ولو قيل من نفس واحدة لجاز[٤].

ثامنا: التعبير عن المثنى بلفظ المفرد

قوله: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[٥]

ولم يقل يرضوهما، لأن المعنى يدل عليه فحذف استخفافا، والمعنى والله أحق أن يرضوه[٦].

وهذا يدل على أن طاعة الله وطاعة رسوله صار كالشيء الواحد، فلا تكتمل طاعة أحدهما غلا بطاعة الآخر.

---

(1) يونس ٥٧.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٥/١.

(3) النساء ١.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢.

(5) التوبة ٦٢.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٠/٢.

تاسعا: مخاطبة غير العاقل بما خوطب به العاقل

ومنه قوله جل وعز: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾[١]

قال الزجاج: قال قوم: السجود من هذه الأشياء التي هي موات ومن الحيوان الذي لا يعقل غنما هو أثر الصنعة فيها و الخضوع الذي يدل على أنها مخلوقة.

وذلك القول الذي قالوه لأن السجود الذي هو طاعة عندهم إنما يكون ممن يعقل، والذي يكسر هذا ما وصف الله عز وجل من أن من الحجارة لما يهبط من خشية الله، والخشية والخوف ما عقلناه إلّا للآدميين، وقد أعلمنا الله أن من الحجارة ما يخشاه لأن أثر الصنعة يتبين مع داود وغيره، فهو سجود طاعة[٢].

عاشرا: التغليب

غلب: غَلَبه يَغْلِبُه غَلْباً وغَلَباً، وهي أَفْصَحُ، وغَلَبةً ومَغْلَباً ومَغْلَبةً وتَغَلَّبَ على بلد كذا: استولى عليه قَهْراً، وغَلَّبْتُه أَنا عليه تَغْلِيباً التغليب الترجيح، يقال غلبه أي قهره وغلب على صاحبه حكم له عليه بالغلبة[٣].

وهو ترجيح أحد المغلوبين على الآخر[٤]، وعرفه الزركشي بقوله: وحقيقة إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظه عليه[٥].

قال القرطاجني: هو أن يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظا ومعنى[٦].

---

(1) الحج ١٨.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٣٩-٣٤٠.

(3) لسان العرب (غلب) ٥/٤٩.

(4) عروس الأفراح ٤/٤٧٣.

(5) البرهان ٣/٣٠٢.

(6) منهاج البلغاء ص١٠٣.

وأشار إليه الزجاج في كتابه دون إفصاح عن معناه الاصطلاحي فقال في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ [١]

ولم يقل كواحدة من النساء، لأن أحدا نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة[٢].

أقسام التغليب:

ذكر الزجاج في كتابه بعض أقسام التغليب ومنها:

١- تغليب المعرفة على النكرة:

وذلك في قوله عز وجل: ﴿**هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ**﴾[٣]

قال الزجاج: منصوب على الحال، والمعنى يحكمان به مقدرا أن يهدي، و"بالغ الكعبة" لفظه لفظ معرفة، ومعناه معنى النكرة، والمعنى بالغا الكعبة، إلا أن التنوين حذف استخفافا[٤].

٢- تغليب المذكر على المؤنث:

قوله عز وجل: ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٥]

"زين" جاز فيه لفظ التذكير، ولو كانت " زُيِّنت" لكان صوابا، وزين صواب حسن، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي لأن معنى الحياة ومعنى العيش واحد، وقد فصل أيضا بين الفعل وبين المؤنث[٦].

---

[1] الأحزاب ٣٢.

[2] معاني القرآن وإعرابه ٤/١٧٠.

[3] المائدة ٩٥.

[4] معاني القرآن وإعرابه ٢/١٦٨.

[5] البقرة ٢١٢.

[6] معاني القرآن وإعرابه ١/٢٤٢.

ومنه أيضا قوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

يقول الزجاج: ظاهر الخطاب للرجال خاصة دون النساء، وهو محتمل أن يكون للفريقين لأن الخطاب إذا وقع على مذكرين ومؤنثين غلب التذكير لأن الأول أمكن[2].

ومثله أيضا: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3]"

أي فكفارة المؤاخذة فيه أذا حنث أن يطعم عشرة مساكين إن كانوا ذكورا أو إناثا أجزاه ذلك، ولكن وقع لفظ التذكير لأنه المغلب في الكلام[4].

٣- تغليب المؤنث على المذكر:

كقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[5]

معنى وعشرا: يدخل فيها الأيام.

قال الزجاج: زعم سيبويه أنك إذا قلت "لخمس بقين" فقد علم المخاطب أن الأيام داخلة في الليالي، وزعم غيره أن لفظ التأنيث مغلب في هذا الباب[6].

---

(1) البقرة ٢٣٧.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/٣١٩-٣٢٠.

(3) المائدة ٨٩.

(4) معاني القرآن وإعرابه٢/١٦٣.

(5) البقرة ٢٣٤.

(6) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٧٠.

٤- تغليب الجمع على المفرد:

في قوله عز وجل: ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[١]

و "فناداه الملائكة" الوجهان جميعا جائزان، لأن الجماعة يلحقها اسم التأنيث، لأن معناها معنى جماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير، كما يقال جمع الملائكة، ويجوز أن تقول نادته الملائكة وإنما ناداه جبرائيل وحده لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس، كما تقول: ركب فلان في السّفن، وإنما ركب سفينة واحدة. تريد بذلك ركوبه في هذا الجنس[٢].

---

(1) آل عمران ٣٩.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٤١/١.

الوصل والفصل

الفصل بون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد موضع المفصل، وبين كـل فـصلين وصل، والفصل الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفـصلت الـشيء بالشيء فانفصل: أي قطعته فانقطع[١]، والوصل خلاف الفصل، وصل الشيء يصله وصـلا وصِلة وصُلة، واتصل بالشيء بالشيء لم ينقطع[٢].

الوصل: هو عطف جملة على جملة أخرى، والفصل هو ترك العطف.

قال علماء البلاغة: إنه أصعب أبواب البلاغة، إذ لا يضع كل واحد منهما موضعه إلا من أُولي منهم كلام العرب طبعا سليما، وأُعطي في إدراك أسراره حظا وافرا.

ولذلك قال بعض البلغاء:

البلاغة هي معرفة الفصل والوصل، ولم يُرد به قصرها عليها، بل أراد أنـه أعظـم أبوابها، وأشكل أركانها، وذلك كقول النبي عليه السلام "الحج عرفة" أراد أعظم أركان الحـج وهو الوقوف بعرفة[٣].

من مواضع الوصل:

للوصل مواضع ثلاثة وهي:

أولها: أن تكون الجملتان متفقتان خبرا وإنشاء، لفظا ومعنى.

ثانيها: إذا كان الفصل يوهم خلاف المعنى المراد.

ثالثها: أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب.

---

(1) لسان العرب (فصل) ١٣٤/٥.

(2) لسان العرب (وصل) ٤٤٩/٦.

(3) الإشارات والتنبيهات ١٢١.

ذكر الزجاج في كتابه إحدى مواضع الوصل ووضّح ذلك في كشفه عن معناه. ومنه: تفسيره لقول الله عز وجل:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[١]

قرئت "**وَاتَّخِذُوا**" بالفتح والكسر، روي أن عمرو بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد وقفا على مقام إبراهيم: أليس هذا مقام خليل ربنا؟ وقال بعضهم مقام "أبينا" أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله عز وجل "**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**" فكان الأمر، والقراءة، **وَاتَّخِذُوا** بالكسر على هذا الخبر أبين، ولكن ليس يمتنع "واتَّخَذوا"، لأن الناس اتخذوا هذا، فقال "**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً**" "**واتَّخِذوا**"، فعطف جملة على جملة[٢].

واعلم أن بلاغة الوصل لا تتحقق إلّا بالواو العاطفة فقط، لأنَّها الأداة التي لا تفيد إلَّا الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، وهذا ما لا تؤديه بقية حروف العطف إذ أنَّها تفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التراخي في (ثم)، وكالترتيب مع التعقيب في (الفاء)[٣].

(1) البقرة ١٢٥.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/١٨١.

(3) من بلاغة القرآن، علوان ص١٢٩.

الإيجاز والإطناب

أولا: الإيجاز

وجز: وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً و وَجْزاً وأَوْجَزَ: قَلَّ في بلاغة، وأَوْجَزَه: اختصره. قال ابن سيده: بين الإِيجاز والاختصار فرق مَنْطِقِيٌّ. وكلامٌ وَجْزٌ: خفيف. وأَمر وَجْزٌ و واجِزٌ ووَجِيزٌ، ومُوجَزٌ ومُوجِزٌ. يقال: أَوْجَزَ فلانٌ إِيجازاً في كل أَمر. وأَمرٌ وَجِيزٌ وكلام وَجِيز أَي خفيف مقتصر[١].

فالإيجاز أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به وإلَّا كان إخلالا يفسد الكلام[٢].
أو هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة للإبانة والإفصاح.

مسوغ الحذف:

وضح الزجاج مسوغ الحذف في تفسيره لقول الله جل وعز:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [٣]

أي تؤتي الملك من تشاء أن تؤتيه، وكذلك تنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه: إلَّا أنه حذف لأن في الكلام ما يدل عليه[٤]، فوضح أنه لا بد للحذف من أن يكون في الكلام ما يدل على المعنى المحذوف، حتى يكون الكلام لا خلل فيه ولا نقصان.
واعلم أن الحذف على وجهين: أحدهما ألَّا يقام شيء مقام المحذوف، والثاني: أن يقام مقامُه ما يدل عليه[٥].

---

(1) لسان العرب (وجز) ٤٠٣/٦.
(2) البيان والتبيين ٢٨/٢.
(3) آل عمران ٢٦.
(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٥/١.
(5) الإيضاح ص٢٩٩.

وقد ذكر الزجاج الوجه الثاني من مسوغ الحذف، وهو أن يقام مقامُه ما يدل عليه.

جواز الحذف:

وذلك في قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]

أي البر والتقوى أولى، ويكون أولى محذوفا كما جاء حذف أشياء في القرآن، لأن في الكلام دليلا عليه، يشبه هذا منه: **﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوف﴾**[٢]، أي طاعة وقول معروف أمثل، والنصب في أن والجر مذهب النحويين، ولا أعلم أحدا منهم ذكر هذا المذهب، ونحن نختارما قالوه لأنه جيد، ولأن الإتباع أحب وإن كان غيره جائزا[٣].

إيجاز الحذف

وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وذلك بحذف شيء من الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى[٤].

كقوله تعالى: **﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَات﴾**[٥]

قال الزجاج: المعنى: والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله والذاكراته، استغنى عن ذكر الهاء بما تقدم ودل على المحذوف، ومثله: ونخلع ونترك من يفجرك، المعنى: ونخلع من يفجرك ونتركه[٦].

---

(1) البقرة ٢٤٤.

(2) محمد ٢١.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٧/١.

(4) من بلاغة القرآن، علوان ص١٤٠.

(5) الأحزاب ٣٥.

(6) معاني القرآن وإعرابه ١٧٢/٤.

ومنه قوله: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[١]

أي فكيف تكون حال هؤلاء يوم القيامة، وحذف "تكون حالهم" لأن في الكلام دليلا على ما حذف[٢].

ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[٣]

قال الزجاج: ولم يذكر الرسول في هذا، لأن فيه دليلا بقوله " **وَأَقَامَ الصَّلَاةَ** " التي أتى بتحديدها الرسول[٤].

وقوله تعالى:

﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٥]

معنى " **يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ** " أي بالزنا، لكنه لم يقل بالزنا لأن فيما تقدم من ذكر الزانية والزاني دليلا على أن المعنى ذلك. والمحصنات ههنا: اللواتي أحصنَّ فروجهنَّ بالعفة[٦].

---

(1) النساء ٤١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٣.

(3) التوبة ١٨.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٥٣.

(5) النور ٤.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٤-٢٥.

الحذف وغرضه البلاغي:

كشف الزجاج عن الغرض البلاغي للحذف في قول الله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾[١]

يقول الزجاج: قال النحويون [تقديره] أمْرنا طاعة، وقال بعضهم، منَّا طاعة. والمعنى واحد، إلا أن إضمار (أمْرنا) أجمع في القصة وأحسن[٢].

إيجاز الحذف وأنواعه:

والمحذوف: إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة[٣].

١- الإيجاز بحذف المبتدأ:

كقوله تعالى:

﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ** ﴾[٤]

قال الزجاج: هو على ضربين: جائز أن يكون إضمار الإخراج الذي تقدم ذكره قال: " **وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ** " " **وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ** "، ثم بين لتراخي الكلام أن ذلك الذي حرم الإخراج، وجائز أن يكون للقصة والحديث كأنه قال: والخبر محرم عليكم إخراجهم[٥].

---

[1] النساء ٨١.

[2] معاني القرآن وإعرابه ٦٦/٢.

[3] الإيضاح ص٢٩١.

[4] البقرة ٨٥.

[5] معاني القرآن وإعرابه ١٤٩/١.

وقوله جل وعز: ﴿**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[١]

مرفوع على أنه خبر ابتداء محذوف: المعنى الذي أنبأناك به في قصة عيسى عليه السلام هو " **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** " أي من الشاكين، والخطاب للنبي خطاب للخلق، لأن النبي لم يشك في قصة عيسى[٢].

٢- الإيجاز بحذف الخبر:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ**﴾[٣]

قال الزجاج: تأويله: طاعة معروفة من قسمكم لما لا تصدقون فيه، والخبر مضمر، وهو "أمثل" وحذف لأن في الكلام دليلا عليه[٤].

٣- الإيجاز بحذف حرف الجر:

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٥]

يقول الزجاج: قال أبو عبيدة: المعنى كل طريق، قال أبو الحسن الأخفش: "على" محذوفة. المعنى: اقعدوا لهم على كل مرصد[٦].

---

(1) آل عمران ٦٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٦/١.

(3) التوبة ٥.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٤٠/٤.

(5) التوبة ٥.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٨/٢.

أظهر الزجاج رأي سيبويه في حديثه عن الإيجاز بحذف حرف الجر في قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾(١)

معناه: لا تعزموا على عقدة النكاح، وحذف "على" استخفافا كما تقول: ضربت زيد الظهر والبطن، معناه: على الظهر والبطن، وقال سيبويه: إن الحذف في هذه الأشياء لا يقاس(٢).

٤- الإيجاز بحذف المضاف:

في قوله تعالى: **﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**(٣)

يقول الزجاج: رويت عن الحسن أن معناه في عينك التي تنام بها، وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ** في موضع منامك أي بعينك ثم حذف الموضع، وأقام المقام مكانه وهذا مذهب حسن، ولكنه قد جاء في التفسير أن النبي صلى الله عليه وسلم رآهم في النوم قليلا، وقصَّ الرؤيا على أصحابه فقالوا: صدقت رؤياك يا رسول الله، وهذا المذهب أسوغ في العربية، لأنه قد جاء: وإذ يريكهموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا، ويقللكم في أعينهم، فدلَّ بهذا أن هذا رؤيا الالتقاء، وأن تلك رؤيا النوم.

ويجوز على هذا المذهب الأول أن يكون الخطاب الأول للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن الخطاب الثاني لجميع من شاهد الحرب و للنبي صلى الله عليه وسلم(٤).

---

(1) البقرة ٢٣٥.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٢/١.

(3) الأنفال ٤٣.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٩/٢.

ومن حذف المضاف أيضا قوله تبارك وتعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(١)

قال الزجاج: فالطيبات كل شيء لم يأت تحريمه في كتاب ولا سنه، والكلام يدل على أنهم سألوا عن الصيد فيما سألوا عنه، ولكن حذف ذكر صيد" **مَا عَلَّمْتُمْ** " لأن في الكلام دليلا عليه(٢).

ويقرن البلاغيون الذكر بالحذف، وهو نقيضه(٣).

وذكر الزجاج في كتابه الذكر وغرضه البلاغي.

الذكر للتخصيص والتعظيم:

في قوله عز وجل: **﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾**(٤)

يذكر الزجاج هذا الغرض في قوله: جاء في التفسير أنه ملَك يزجر السحاب. وجائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه لأن صوت الرعد من أعظم الأشياء، وقد قال الله عز وجل: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾**(٥)

وخصَّ ذكر الرعد لعظم صوته(٦).

---

(1) المائدة ٤.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١٢٠/٢.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٢/٣.

(4) الرعد ١٣.

(5) الإسراء ٤٤.

(6) معاني القرآن وإعرابه ١١٦/٣.

ثانيا: الإطناب

الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذما، وأطنب في الكلام بالغ فيه وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد، وأطنب في الكلام أيضا إذا أبعد، وأطنب الإبل: إذا تبع بعضها بعضا في السير[١].

والإطناب هو: أن يُزاد على أصل المعنى المراد زيادة لفائدة[٢]، فإن لم تحقق الزيادة فائدة فلا يسمى إطنابا وإنما حشوا.

وله صور متعددة منها:

ذكر الخاص بعد العام:

في قوله عز وجل: ﴿**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾[٣]

يقول الزجاج: قال قوم: إن النَّخل والرَّمان ليسا من الفاكهة، وقال بعض أهل اللغة: منهم يونس النحوي وهو يتلو الخليل في القِدم والحِذق: إن الرمان والنخل من أفضل الفاكهة، وإنَّما فصلا بالواو لفضلهما: واستشهد في ذلك بقوله تعالى:
﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾[٤]
فقال: لفضلهما فُصلا بالواو[٥].

فذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص كونه أعظم وأهم بالذكر.

---

[1] لسان العرب (طنب) ١٩٨/٤.
[2] الإشارات والتنبيهات ص١٥٣.
[3] الرحمن ٦٨.
[4] البقرة ٩٨.
[5] معاني القرآن وإعرابه ٨٢/٥.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[١]

قالوا: " **الصَّلَاةِ الْوُسْطَى** " العصر. وهو أكثر الرواية، وقيل إنها (الغداة)، وقيل أنها الظهر، والله قد أمر بالمحافظة على جميع الصلوات إلا أن هذه الواو إذا جاءت مخصّصة فهي دالة على الفضل الذي تخصّصه في هذه الآية[٢].

في هذه الآية ذكر الخاص (الصلاة الوسطى) بعد العام "الصلوات" للتنبيه على فضل الخاص بذكره مرتين: مرة في العام وأخرى في الخاص.

---

(1) البقرة ٢٣٨.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٧٣-٢٧٤.

الفصـــــــــل الثاني

الصور البيانية عند الزجاج

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[١]، وقال تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**[٢].

إن كلمة بيان تدل في أصل معناها على الوضوح والإبانة سواء كان البيان بالقول المنطوق أو اللفظ المكتوب أو بالإشارة أو بالعقد أو النصبة كما قال الجاحظ.

ثم تطور هذا المفهوم حتى أصبح علما من علوم البلاغة الثلاثة مستقلا بذاته[٣].

كما عرفه علماء البيان بقولهم:

علم البيان: هو معرفة إيراد المعنى الواحد في الطرق المختلفة الدلالة بالخفاء على مفهومها تفاديا عن الخطأ في التطبيق التمام المراد[٤].

وتشتمل موضوعات علم البيان على: التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية.

وقد وضح الزجاج في تفسيره مباحث علم البيان، وهذا ما يجعلنا نؤكد أنه صاحب باع طويل في هذا العلم.

وسنتحدث عن المباحث جميعها للكشف عن جهود الزجاج في هذا العلم الذي يعتبر من الأساس في علوم البلاغة.

---

(1) الرحمن ١-٤.

(2) النحل ٨٩.

(3) من بلاغة القرآن: علوان ١٤٩.

(4) التبيان في البيان: للإمام الطيبي، تحقيق ودراسة د. عبد الستار حسين زمّوط، دار الجليل_ بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص٣٤٠.

أولا: التشبيه

التشبيه في اللغة: الشبه والشبيه: المثل، وأشبه الشيء ماثله، وأشبهت فلانا وشـــابهته واشتبه عليّ، وتشابه الشيئان: شبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه التمثيل[(١)].

أما في اصطلاح البلاغيين فقد عرفه الزركشي بقوله: هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه، وقيل أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به.

وقيل: الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد، كالطيب في المسك، والضياء في الشمس، والنور في القمر، وهذا هو حكم إضافي لا يَــرد إلّــا بــين الشيئين بخلاف الاستعارة[(٢)].

هو مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة ظاهرة أو مقدرة.

وقد تحدّث الزجاج عن التشبيه دونما يذكر نوعه مباشرة وهذا ما سنوضحه في هــذا الفصل إن شاء الله.

وذلك في قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[(٣)]

هذا المثل ضربه الله عز وجل للمنافقين في تجملهم بظاهر الإسلام وحقنهم دماءهم بما أظهروا فمثل ما تجملوا به من الإسلام كمثل النار التي يستضيء بها المستوقد[(٤)].

وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في إشراء الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله، وانتفع بها وأبصر بها عن يمينه

---

(1) لسان العرب (شبه) .

(2) البرهان ٣/٤١٤.

(3) البقرة ١٧.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٩٢/١.

وشماله، وتأنس بها، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي.

وقال الرازي: والتشبيه ههنا في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا، ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك، فوقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين[١]، وقد أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة، وهي طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقا لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس إلى المحسوس أميل[٢].

وحقيقة التشبيه التمثيلي أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، أي أن حال المنافقين في نفاقهم وإظهار ما يسترونه من كفر، كحال الذي استوقد نارا ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئا[٣].

وقوله: "**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**" معناه: الله أعلم اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله عز وجل من كفرهم، ويجوز ذهب الله بنورهم في الآخرة.

ومن خلال ما تقدم يتضح المعنى الاصطلاحي للتشبيه التمثيلي وهو: ما وجهه منتزع من متعدد أمرين، أو عدة أمور[٤].

التشبيه المرسل:

هو التشبيه الذي تذكر فيه أداته[٥].

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط١، ١٩٧٣، ١/٣٦.

(2) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع_ تونس، ١/٣٠٢.

(3) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٤، ١/٤٤.

(4) الإيضاح ص٣٧١.

(5) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/ ٢٠١.

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١]

تأويل قست في اللغة غلظت ويبست وصلبت فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخضوع والخشوع منه، ومعنى "من بعد ذلك" أي من بعد إحياء الميت لكم بعضوٍ من أعضاء البقرة، وهذه آية عظيمة كان يجب على من يشاهدها _فشاهد بمشاهدتها من قدرة الله عز وجل ما يزيل كل شك_ أن يلين قلبه ويخضع[٢].

فهذا تشبيه مرسل فقد شبه قلوبهم في تجافيها عن الحق بالحجارة القاسية، ثم أبدع في التشبيه فجعل الحجارة أكثر لينا من قلوبهم.

وقوله: "**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ**" تشبيه فرع بالفاء لإرادة ظهور التشبيه بعد حكاية الحالة المعبر عنها بقست لأن القسوة هي وجه الشبه، ولأن أشهر الأشياء في هذا الوصف هو الحجر، فإذا ذكرت القسوة فقد تهيأ التشبيه بالحجر ولذا عطف بالفاء، أي إذا علمت أنها قاسية فشبهها بالحجارة، وقد كانت صلابة الحجر أعرف للناس وأشهر لأنها محسوسة فلذلك شبه بها[٣].

قال السيوطي: ينقسم التشبيه باعتبارات:

الأول باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام لأنهما:

إما حسيان، أو عقليان، أو المشبه به حسي والمشبه عقلي، أو عكسه.

ومثال الثاني: "**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**" وكذا مثل به في البرهان، وكأنّه ظنَّ أن التشبيه واقع في القسوة وهو غير ظاهر، بل هو واقع بين القلوب والحجارة، فهو من الأول[٤]، وهذا يعني أن السيوطي يعتبر التشبيه في هذه الآية من قبيل المحسوس بالمحسوس، وهو بهذا يخالف الزركشي في البرهان الذي اعتبره من قبيل المعقول بالمعقول.

---

[1] البقرة ٧٤.

[2] معاني القرآن وإعرابه ١/١٤٠.

[3] التحرير والتنوير ١/ ٥٦٣.

[4] معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ١/٢٧٠.

وقوله عز وجل:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١]

وضرب الله عز وجل لهم هذا المثل، وشبههم بالغنم المنعوق بها[٢].

وقد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف لامتناع ذلك، لأنه بسبب المحذوف.

فإن التقدير: مثل واعظ الذين كفروا، فالمشبه الواعظ، والمقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناعق للأغنام، وهي لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته، ولا تفهم غرضه، وإنما وقع التشبيه على الغنم التي ينعق بها الراعي، ويمد صوته إليها[٣]، إنّما الذي ينعق الراعي، ووقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم، تقول كالغنم التي لا تسمع التي ينعق بها راعيها، والعرب تريد الشيء فتحوّله إلى شيء من سببه، يقولون أعرض الحوضَ عن الناقة وإنما تُعرض الناقة على الحوض[٤]،والمثل هنا لما أضيف إلى الذين كفروا كان ظاهرا في تشبيه حالهم عند سماع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من ينعق بها في أنهم لا يفهمون إلّا أن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى متابعته من غير تبصّر في دلائل صدقه وصحة دينه، فكل من الحالة المشبهة والحالة المشبه بها يشتمل على أشياء التي هي أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبها بجزء من أجزاء المشبه به، وهذا من أبدع التمثيل وقد أوجزته الآية إيجازا بديعا[٥].

فقد شبه من يدعو الكافرين إلى الإيمان رغم لجاجتهم ومكابرتهم بمن ينعق بالبهائم التي لا تسمع إلّا التصويت بها والزجر لها، فهو تشبيه صورة بصورة أو تشبيه متعدد بمتعدد، وفيه وجوه ويمكن اختصار الأوجه التي أوردها علماء البيان والنحو بما يلي[٦]:

---

(1) البقرة ١٧١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢١٠/١.

(3) البرهان ٤٢٩/٣.

(4) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، علق عليه د. محمد فؤاد سزكين، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٦٤/١.

(5) التحرير والتنوير ١١١/٢.

(6) إعراب القرآن وبيانه ٢٤٠/١.

أ- المثل مضروب لتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوق به.
ب- المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالغنم المنعوق بها.
جـ- المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه الأصنام بالناعق على الغنم.

وقوله عز وجل:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)

قال الزجاج: زعم أبو عبيدة أنه كنايه، والقول عندي فيه أن معناه أن نساؤكم حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة(٢).

وأصل هذا إنما هو في الزرع، وكل ما حرث فيشبه ما منه الولد بذلك، وقالوا في الحرث هو ما تعرفه الزرع، لأنه إذا أفسد في الأرض أبطل _بإفساده وإلقائه الفتنة_ أمر الزراعة(٣).
وسمى المرأة حرثا لأن رحمها ينبت فيه الولد كما ينبت الزرع في الأرض الطيبة(٤)، قال أبو عبيدة: "**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**" كناية وتشبيه(٥).

وقول أبي عبيدة على أنه كناية، فقد كنى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة، في الكيفية التي يشاؤها من غير حظر ولا حرج ما دام المأتي واحد وهو موضع الحرث(٦).

---

(1) البقرة ٢٢٣.
(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/١.
(3) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٨/١.
(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري، ط١، ١٩٩٣، ٢٠٧/١.
(5) مجاز القرآن ٧٣/١.
(6) إعراب القرآن وبيانه ٣٣٣/١.

أما التشبيه: شبههن بها لما بين ما يلقى في أرحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث أن كلا منها مادة لما يحصل منه[١]، شبه النساء بالأرض التي تحرث للزرع، فحذف الأداة والوجه، وهذا هو التشبيه البليغ وهو: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه، وعليه يكون مؤكدا ومجملا، ويعتبر أكثر الأنواع بلاغة[٢].

والتشبيه المؤكد: هو ما حذفت فيه الأداة، ويسمى تشبيه الكناية[٣].

التشبيه المجمل: هو التشبيه الذي لم يذكر فيه وجه الشبه[٤].

وقوله عز وجل:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[٥]

يقول الزجاج: المعنى: الذين يأكلون الربا لا يقومون في الآخرة إلا كما يقوم المجنون من حال جنونه[٦]، أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلّا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياما منكرا.

وقال ابن عباس: آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنونا يخنق[٧].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن: البروسي، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ٣٥٢/١. وأنظر: فتح القدير ٢٩٤/١. وإعراب القرآن وبيانه ٣٣٣/١.

(2) من بلاغة القرآن: علوان ١٧٧.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٩٧/٢.

(4) نفسه ١٩٩/٢.

(5) البقرة ٢٧٥.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤/١.

(7) مختصر تفسير ابن كثير ٢٤٥/١.

وقوله عز وجل:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(١)

قال الزجاج: "خلقه من تراب" ليست متصله بآدم، إنّما هو مبيّن قصة آدم، ولا يجوز في الكلام أن تقول: مررت بزيد قام، لأن زيدا معرفة لا يتصل به قام ولا يوصل به ولا يكون حالا، لأن الماضي لا يكون حالا أنت فيها، ولكنك تقول: مثلك مثل زيد، تريد أن تشبه في فعله، ثم تخبر بقصة زيد فتقول: فعل كذا وكذا، وإنما قيل أن مثله كمثل آدم لأن الله أنشأ آدم من غير أب، خلقه من تراب، فكما خلق آدم من غير أب كذلك خلق عيسى عليه السلام(٢).

وفي هذا توضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وقطع الشبه الخصوم، فإن إنكار خلق عيسى عليه السلام بلا أب مع الاعتراف بخلق آدم من غير أب ولا أم مما لا ينبغي أن يكون لا يسلمه العقل(٣)، وتشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقا من غير أب كآدم، لا يقدح في التشبيه اشتمال المشبه به على زيادة، وهو كونه لا أم له: كما أنه لا أب له، فذلك أمر خارج عن الأمر المراد بالتشبيه، وإن كان المشبه به أشدّ غرابة من المشبه وأعظم عجبا وأغرب أسلوبا(٤)، فهو من تشبيه الغريب بالأغرب، لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس، وفيه دليل على جواز القياس، وهو ردّ فرع إلى أصل لشبه ما، لأن عيسى رُدّ إلى آدم لشبه بينهما، والمعنى أن آدم خُلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم، فكذلك خُلق عيسى من غير أب(٥).

---

(1) آل عمران ٥٩.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٥/١.

(3) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، مج ١، ١٧٣/٣.

(4) فتح القدير ٤٤٧/١.

(5) البرهان ٤٢٦/٣.

وقوله تبارك وتعالى:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[١]

بين الله عز وجل كيف استجابة الأصنام لأنهم دعوا الأصنام من دون الله فقال: " **إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ**" أي كما يستجاب الذي يبسط كفيه إلى الماء يدعو الماء إلى فيه، والماء لا يستجيب، فأعلم الله عز وجل أن دعاء الأصنام كدعاء العطشان الماءَ لبلوغ فيه " **وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**"[٢].

تشبيه تمثيلي رائع، فقد شبه دعوة الكفار للآلهة ليستجيبوا لهم ثم صمم الآلهة وجمودها وعدم استجابتها، وهذا هو المشبه المركب بمن يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وهو بعيد عنه، ثم يبالغ في الدعوة، ويحمله الهوس على الرجاء من الماء أن يستجيب وهو جماد لا يشعر فهذا هو المشبه به[٣].

وفيه يخرج التشبيه إلى غرض بلاغي وهو تقرير لحال المشبه في ذهن السامع.

وقوله عز وجل:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[٤]

أي من زبد الماء، والزبد من خبثٍ الحديد والصفر والنحاس والرصاص " **فَيَذْهَبُ جُفَاءً**" أي فيذهب ذلك لا ينتفع به، " **وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**" وأما ما ينفع الناس من الماء والفضة والذهب والحديد وسائر ما ذكرنا فيمكث في الأرض، فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذا الماء المنتفع في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع

---

(1) الرعد ١٤.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١١٧/٣.

(3) إعراب القرآن وبيانه ١٠٢/٥.

(4) الرعد ١٧.

الفضة والذهب وسائر الآلات التي ذكرت لأنها كلها تبقى منتفعا بها، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاءً، وكمثل خبثُ الحديد، وما تخرجه النار من وسخ الفضة والـذهب الذي لا ينتفع به[١].

قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأمـا الزبد فينفع الله به أهله، وقوله"**فَأَمَّا الزَّبَدُ**" وهو الشك " **فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَـا يَنْفَـعُ النَّـاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**" وهو اليقين، وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبيثه فـي النار، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك[٢]، فجملة "**فَأَمَّا الزَّبَدُ**" معطوفة على جملة "**فَاحْتَمَـلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**" مفرّعة على التمثيل، وافتتحت بـــ "أمّا" للتوكيد، وصرف ذهن السامع إلى الكلام لما فيه من خفى البشارة والنذارة، ولأنه تمام التمثيل.

والتقرير: فذهب الزبد جفاء ومكُث ما ينفع الناس فـي الأرض، والجفـاء الطـريح المرميُّ، وهذا وعيد المشركين لأنهم سيبيدون بالقتل ويبقى المؤمنون.

وعبر عن الماء بما ينفع الناس للإيماء إلى وجه بناء الخبر وهو البقاء فـي الارض تعريضا للمشركين بأن يعرضوا أحوالهم على مضمون هذه الصلة ليعلموا أنهم ليـسوا ممـن ينفع الناس.

وهذه الصلة موازنة للوصف في قوله تعالى:

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٣].

واكتفى بذكر وجه الشبه النافع بالماء، وغير النافع بالزبد عن ذكر وجه الشبه النـافع بالذهب أو الفضة، وغير النافع بزبدها واستغناء عنه[٤].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣/١١٨-١١٩.

(2) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٢٧٧.

(3) الأنبياء ١٠٥.

(4) التحرير والتنوير ٧/١٢٠-١٢١.

وقوله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]

أي مدبر أمرها بحكمة بالغة وحجة نيّرة، ثم مثل نوره ذلك في القلوب بأبين النور الذي لم يدرك بالأبصار فقال: " **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**" .

فنوره يجوز أن يكون ما ذكرنا من تدبيره، وجائز أن يكون كتابه الذي بيّن به فقال:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[٢]

وجائز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو النور الذي قال مثل نوره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المرشد والمبيِّن والناقل عن الله ما هو نيّر وبيّن، و **دُرِّيٌّ**: منسوب إلى أنه كالدّر، في صفائه وحسنه[٣].

وهو من تشبيه المفرد بالمركب، فإنه سبحانه أراد تشبيه نوره الذي يلقيه في قلب المؤمن، ثم مثله بمصباح.

وتشبيه المفرد بالمركب: وهو أن يكون المشبه مفردا والمشبه به غير مفرد[٤].

---

[1] النور ٣٥.

[2] المائدة ١٥.

[3] معاني القرآن وإعرابه ٣٤/٤.

[4] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢١١/٢.

وقوله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(١)

والقيعة جمع قاع، مثل جار وجيرة، والقيعة والقاع ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، فالذي يسير فيه يرى كأنه فيه ماء يجري. وذلك هو السراب، والآل مثل السراب إلّا أنه يرتفع وقت الضحى كالماء بين السماء والأرض(٢).

الله عز وجل يريد تبيين أن عمل الكافر لا حقيقة له، ولا ينفع صاحبه كالسراب الذي لا حقيقة له ولا ينفع الظمآن، ويريد أن يبين أيضا القيمة الحقيقية للحياة الدنيا.

ينقسم التشبيه باعتبار آخر إلى أقسام:

أحدها: تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع، اعتمادا على معرفة النقيض والضد.

الثاني عكسه: وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه كقوله: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ**" أخرج ما لا يحس_ وهو الإيمان_ إلى ما يحس وهو السراب، والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة.

تشبيه المعقول بالمحسوس: وهو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وذلك أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا(٣).

وقوله جل وعز:

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾(٤)

ومعنى المنشآت المرفوعات الشُّرُع، والمنشآت على معنى الحاملات الرافعات الشُّرُع، ومعنى كالأعلام كالجبال.

---

(1) النور ٣٩.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٧-٣٨.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/٢٠٦.

(4) الرحمن ٢٤.

قال الشاعر:

إذا قطعـــــن علمـــــاً بـــــدا علـــــمُ

والجواري السُّفُن[١]، والجامع فيها العظم، والفائدة البيان عن القــدرة علـــى تــسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء[٢]، وهو إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها[٣].

والغرض من التشبيه هو بيان مقدار المشبه.

وهذا فيه إعجاز علمي حيث أن العرب لما نزلت هذه الآية لم يروا السُّفن.

وقوله عز وجل:

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٤]

معنى "وردة" صارت كلون الورد، وذلك في يوم القيامة، ومعنى "كالدهان" تتلون من الفزع الأكبر تلون الدهان المختلفة، والدهان جمع دُهْن، ودليل ذلك قوله:

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[٥] أي كالزيت الذي أُغْلِيَ. وقيل "فكانت وردة كالدهان" أي فكانت كلون فرسٍ وردَةٍ، والكميت الورد يتلون فيكون في الشتاء لونه خلاف لونـــه فـــي الصيف، ويكون في الفصل لونه غير لونه في الشتاء والصيف[٦].

والتشبيه تمثيلي كما ترى مركب من قسمين أو صورتين متعاقبتين، صورة الــسماء منشقة وصورة الورد ثم صورة الدهان، والصورتان الأخيرتان لتوضيح وجه الــشبه وهــو أحوال تكونها فهي في الربيع صفراء وفي الشتاء حمرا ثم غبراء داكنة عند الــذبول، وهــذا التلوين التدريجي من اللون الناصع إلى اللون الداكن يشبه أيضا لون الدهن وقد عملت فيهــا النار فاشتل بلون أصفر، ثم بدت ألسنته محمرة إذ أذن بالانطفاء ثم يتحول إلى رماد داكن[٧].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٥/٧٩-٨٠.

(2) معترك الأقران ١/٢٧٣.

(3) البرهان ٣/٤٢٢.

(4) الرحمن ٣٧.

(5) المعارج ٨.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٥/٨٠.

(7) إعراب القرآن وبيانه ٩/٤١١.

وقوله عز وجل:

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[١]

يقول الزجاج: قال أهل التفسير وأهل اللغة: هنّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان، والمرجان هو صغار اللؤلؤ وهو أشدّ بياضاً[٢].

وهو تشبيه مرسل مجمل لوجود الأداة، وعدم ذكر وجه الشبه، و هو الصفاء، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها، وذلك بأن الله عز وجل يقول: "**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**" فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه[٣].

وقوله عز وجل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

قال الزجاج: الأسفار الكُتُب الكبار، واحدها سفر، فأعلم الله _عز وجل_ أن اليهود مثلُهُم في تركهم استعمال التوراة والإيمان بالنبي عليه السلام الذي يجدونه مكتوباً عندهم فيها كمثل الحمار يحمل أسفاراً[٥].

قال الزمخسري: والذي عليه علماء البيان أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة لا المفردة، بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض، لم يأخذ هذا بحجره ذاك فشبهها بنظائرها، وتشبيه كيفية حاصلة من مجموع أشياء، تضامنت حتى أصبحت شيئا واحد بأخرى[٦].

---

(1) الرحمن ٥٨.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٥/٨٢.

(3) إعراب القرآن وبيانه ٩/٤١٦-٤١٧.

(4) الجمعة ٥.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٣٣-١٣٤.

(6) البرهان ٣/٤٢٤.

و**التشبيه المركب:** أن ينزع من أمور مجموع بعضها ببعض كقوله تعالى: "**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**" فالتشبيه مركب من أحوال الحمار، وذلك هو حمل الأسفار التي هي أوعية العلم، وخزائن ثمرة العقول، ثم لا يُحسن ما فيها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقل عليه ويتعبه[١].

التشبيه المؤكد:

في قوله عز وجل:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]

قال الزجاج: زعم أبو عبيدة أنه كنايه، والقول عندي فيه أن معناه أن نساؤكم حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة[٣].

وأصل هذا إنما هو في الزرع، وكل ما حرث فيشبه ما منه الولد بذلك، وقالوا في الحرث هو ما تعرفه الزرع، لأنه إذا أفسد في الأرض أبطل _بإفساده وإلقائه الفتنة_ أمر الزراعة[٤]، وسمى المرأة حرثا لأن رحمها ينبت فيه الولد كما ينبت الزرع في الأرض الطيبة[٥]، قال أبو عبيدة: "**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**" كناية وتشبيه[٦].

وقول أبي عبيدة على أنه كناية، فقد كنى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة، في الكيفية التي يشاؤها من غير حظر ولا حرج ما دام المأتي واحد وهو موضع الحرث[٧].أما التشبيه: شبههن بها لما بين ما يلقى في أرحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة من حيث أن كلا منها مادة لما يحصل منه[٨]، شبه النساء بالأرض التي تحرث للزرع، فحذف الأداة والوجه، وهذا هو التشبيه البليغ وهو: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه، وعليه يكون مؤكدا ومجملا، ويعتبر أكثر الأنواع بلاغة[٩].

---

(1) البرهان ٤٢٢/٣.

(2) البقرة ٢٢٣.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/١.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٨/١.

(5) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري، ط١، ١٩٩٣، ٢٠٧/١.

(6) مجاز القرآن ٧٣/١.

(7) إعراب القرآن وبيانه ٣٣٣/١.

(8) روح البيان في تفسير القرآن: البروسي، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ٣٥٢/١. وأنظر: فتح القدير ٢٩٤/١. وإعراب القرآن وبيانه ٣٣٣/١.

(9) من بلاغة القرآن: علوان ١٧٧.

ثانيا: المجاز

المجاز لغة:

مصدر على وزن مفعل، جاز الشيء جوازا، أو جاز المكان إذا تعداه[١].

وفي الاصطلاح:

استخدام الكلمة في غير ما وصفت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[٢]، والمجاز إمّا لغوي أو عقلي، واعلم أن أرباب البلاغة وجهابذة أهل الصناعة مطبقون على أن المجاز في الاستعمال أبلغ من الحقيقة، وأنه يلطف الكلام ويكسبه حلاوة، ويكسوه رشاقة، والعَلَم فيه قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾[٤]، فلو استعملت الحقائق في هذه المواضع لم يُعط ما أعطى المجاز من البلاغة[٥]، فاللغوي هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بالتحقيق في اصطلاح التخاطب مع قرينة عدم إرادته، وقوله بالتحقيق ليدخل الاستعارة، لأنه مستعمل فيما وضع له لكن بالتأويل، واختير اللفظ دون الكلمة لئلا يشذ الاستعارة التمثيلية، وقوله في اصطلاح التخاطب ليدخل فيه ما إذا اتفق كونه مستعملا فيما يكون موضوعا له لكن لا بالنسبة على التخاطب[٦].

واعلم أن طريق المجاز أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها، ولكن تريد معنى ما هو رِدْفٌ له أو شبيهٌ، فتجوَّزت بذلك في ذات الكلمة، وفي اللفظ نفسه، وإذ قد عرفت ذلك ما علم أن في الكلام مجازا على غير هذا السبيل، وهو أن يكون التجوُّز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض[٧].

---

(1) لسان العرب (جاز).

(2) من بلاغة القرآن: علوان١٩٨.

(3) الحجر ٩٤.

(4) الأحزاب ٤٦.

(5) الطراز ٨/٢.

(6) التبيان في البيان ٣٦٩.

(7) دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجاني: شرح وتعليق د. محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩، ص٢٢٦.

وينقسم المجاز إلى قسمين: عقلي ومرسل.

أولا: العقلي

ويسمى بمجاز الإسناد، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي[١].

علاقات المجاز العقلي:

١- المفعولية:

ويسند ما بني للفاعل إلى المفعول، وفيها يسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل والمـراد اسم المفعول[٢].

كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣].

قال الزجاج: خائنة في معنى خيانة، والمعنى لا تزال تطلع على خيانة منهم، وفاعلـه في أسماء المصدر كثيرة، نحو عافاه الله عافية[٤].

وأصل الخيانة عدم الوفاء بالعهد، ولعلّ أصلها إظهار خلاف الباطن وقيـل: "**خَائِنَـةٍ**" صفة لمحذوف. أي فرقة خائنة[٥].

---

(1) من بلاغة القرآن: علوان ١٩٩.

(2) من بلاغة القرآن: علوان ٢٠٣.

(3) المائدة ١٣.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١٢٩/٢.

(5) التحرير والتنوير ١٤٥/٤.

٢- **الزمانية:**

ويسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل[١].

كقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾[٢].

يقول الزجاج: والريح العقيم التي لا تأتي بسحاب يمطر، وإنما تأتي بالعذاب، واليـــوم العقيم الذي لا يأتي فيه خير[٣]، وفيه قولان:

أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحّاك، وأصل العقيم في الولادة، يقال امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له.
وسمّيت الريح العقيم بهذا الاسم لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر، فقيل لهذا اليوم: عقيم لأنه لم يأت بخير[٤].

ثانيا: المرسل

وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه[٥].

---

(1) من بلاغة القرآن ص١٩٩.

(2) االحج ٥٥.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٣/٢.

(4) زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، خـــرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧، ٥/٣٠٣-٣٠٤.

(5) الإيضاح ص٣٩٧.

علاقات المجاز المرسل

١- السببية:

وهي أن يأتي بالسبب، والمراد المسبب.

في قوله تعالى:
﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[١].

قال الزجاج: الصلاة في اللغة على ضربين: أحدهما الركوع والسجود، والآخر الرحمة والثناء والدعاء: فصلاة الناس على الميت إنما معناها الدعاء والثناء على الله صلاة، والصلاة من الله عز وجل على أنبيائه وعباده معناها الرحمة لهم والثناء عليهم، وصلاتنا الركوع والسجود[٢]، والصلوات هنا مجاز في التزكيات والمغفرات، ولذلك عطفت عليها الرحمة التي هي من معاني الصلاة مجازا في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾[٣]، وحقيقة الصلاة في كلام العرب أنها أقوال تنبئ عن محبة الخير لأحد، ولذلك كان أشهر معانيها هو الدعاء، ولأجل ذلك كان إسناد هذا الفعل لمن يطلب الخير إلا منه متعينا للمجاز في لازم المعنى وهو حصول الخير[٤].

فالمجاز مرسل علاقته السببية حيث أطلق الصلاة وهي السبب وأراد الرحمة والدعاء وهي المسبب.
وفيه أيضا مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الكل وهو الصلاة، وأراد الجزء وهو الركوع أو السجود.

---

(1) البقرة ١٥٧.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٠١/١.

(3) الأحزاب ٥٦.

(4) التحرير والتنوير ٥٧/٢-٥٨.

وقوله جل وعز:

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١]

قال الزجاج: المكر من الخلائق خبٌّ وخداع، والمكر من الله المجازاة على ذلك فسمي باسم ذلك لأنه مجازاة عليه كما قال عز وجل:
﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢]، فجعل مجازاتهم على الاستهزاء بالعذاب، لفظه لفظ الاستهزاء، وكما قال عز وجل:
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٣]، فالأولى سيئة والمجازاة عليها سميت باسمها، وليست في الحقيقة سيئة، وجائز أن يكون مكر الله استدراجهم من حيث لا يعلمون، وجملة المكر من الله مجازاتهم على ما فعلوا[٤]، ويجوِّز عن عقوبته لأنه سببها، قيل يحتمل أن يكون مكر الله حقيقة، لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم، وهذا محقق من الله تعالى، باستدراجه إياهم بنعمة مع ما أعدّ لهم من نقمة[٥].

وذكره الزركشي في أطلاق اسم الضدين على الآخر فقال: "**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**" حُمِل اللفظ على اللفظ، لمخرج الانتقام بلفظ الذنب لأن الله لا يمكر[٦].

---

(1) آل عمران ٥٤.

(2) البقرة ١٥.

(3) الشورى ٤٠.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٣/١.

(5) الإيضاح ص٤٠٠.

(6) البرهان ٢٨٣/٢.

وقوله عز وجل:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ليس هذا نَفْي رمي النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن العرب خوطبت بما تعقل، أي لم يصب رميك ذاك ويبلغ ذلك المبلغ بك، إنّما الله عز وجل تولى ذلك، فهذا مجاز(٢).

وقوله:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

قال الزجاج: والسخرى من الله المجازاة على فعلهم(٤).

وقوله تبارك وتعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾(٥).

ذكر الزجاج: الأول لم يكن عقوبة، وإنما العقوبة الجزاء، ولكنه سُمي عقوبة لأن الفعل الذي هو عقوبة كل جزاء فسمي الأول الذي جوزي عليه عقوبة لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كما قال عز وجل: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى**

---

(1) الأنفال ١٧.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٢٩.

(3) التوبة ٧٩.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٧٤.

(5) الحج ٦٠.

اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١]، فالأول سيئة والمجازاة عليها حسنة من حسنات المجازي عليها إلّا أنها سميت سيئة بأنها وقعت إساءة بالمفعول به، لأنه فُعِل به ما يسوءه[٢].

٢- الحالية:

وفيها يذكر الحال ويراد المحل[٣].

كقوله عز وجل:
﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[٤].

قال الزجاج: أي في الثواب الذي أصارهم الله إليه برحمة. خالدون، وقال في رحمة الله وهو يريد ثواب رحمة الله كما قال: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[٥]، المعنى أهل القرية، كما تقول العرب: بنو فلان يطؤهم الطريق، والمعنى يطؤهم مارة الطريق[٦].

قال ابن عباس هم المؤمنون، ورحمة الله: جنته، قال ابن قتيبة: وسمَّى الجنة رحمة، لأن دخولهم إياها كان برحمته[٧]، وعبّر عن ذلك بالجنة تنبيها على أن المؤمن إن استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله[٨].

وقال الزركشي في البرهان: هو إطلاق اسم الحال على المحل، أي في الجنة لأنها محل الرحمة[٩].

---

(1) الشورى ٤٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٥٣.

(3) من بلاغة القرآن: علوان ٢١١.

(4) آل عمران ١٠٧.

(5) يوسف ٨٢.

(6) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٨٢-٣٨٣.

(7) زاد المسير ٢/١٥.

(8) المقتطف من عيون التفاسير: مصطفى المنصوري، حققه وخرج أحاديثه محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية_ بيروت، ط٢، ١٩٩٦، ٢/٣٥٦.

(9) البرهان ٢/٢٨٢.

فالمجاز المرسل في "**فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ**" والعلاقة فيه الحالية، لأن الرحمة لا يحل فيها الإنسان، وإنّما يحل في مكانها، وهو الجنة[١].

٣- المحلية:

وفيها يذكر المحل ويراد ما يحل به[٢].

وذلك في قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٣].

قال الزجاج: القلب لا يكون إلّا في الصدر، ولكن جرى على التوكيد كما قال عز وجل: **﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾**[٤]، وكما قال: **﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾**[٥]، فالتوكيد جاء في الكلام مبالغ في الإفهام[٦]، قال الفراء: والمعنى أن أبصارهم لم تعم، وإنما عميت قلوبهم، فأما قوله تعالى: "**الَّتِي فِي الصُّدُورِ**" فهو توكيد لأن القلب لا يكون إلّا في الصدر[٧].

وقوله عز وجل:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨].

قال الزجاج: أي في الثواب الذي أصارهم الله إليه برحمة. خالدون، وقال في رحمة الله وهو يريد ثواب رحمة الله كما قال: **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾**[٩]، المعنى أهل القرية، كما تقول العرب: بنو فلان يطؤهم الطريق، والمعنى يطؤهم مارة الطريق[١٠].

٤- الجزئية:

وهو أن يطلق الجزء ويراد به الكل[١١].

---

(1) إعراب القرآن وبيانه ١٧/٢.

(2) من بلاغة القرآن: علوان ص٢١٢.

(3) الحج ٤٦.

(4) آل عمران ١٦٧.

(5) الأنعام ٣٨.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/٣.

(7) زاد المسير ٣٠١/٥.

(8) آل عمران ١٠٧.

(9) يوسف ٨٢.

(10) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٢/١-٣٨٣.

(11) من بلاغة القرآن: علوان ص٢٠٦.

في قوله عز وجل:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(١).

قال الزجاج: قيل (سبح) صلِّ، ويقال فرغت من سبحتي أي من صلاتي، وإنما سميت الصلاة تسبيحا لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوء، فالصلاة يوحَّد الله فيها ويحمد ويوصف بكل ما يبرئه من السوء فلذلك سُميت الصلاة السَّبحة(٢).

فقد أطلق التسبيح وهو جزء من الصلاة وأراد الكل وهي الصلاة بأكملها، وذلك في قول الزجاج: (سبح) صلِّ، واتى ذلك على سبيل المجاز ذو العلاقة الجزئية.

وقوله جل وعز:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(٣).

قال الزجاج: أباحهم الله قتلهم بكل نوع في الحرب، وواحد البنان: بنانة، ومعناه ههنا الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء(٤)، فضرب البنان يحصل به تعطيل عمل اليد، فإذا ضربت اليد كلها فذلك أجدر.

وقوله:

﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(٥).

قال الزجاج: معناه: فاضربوا الرقاب ضربا، منصوب على الأمر، وتأويله: فإذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم، ولكن أكثر مواقع القتل ضرب العنق، فأعلم الله _عز وجل_ كيف

---

(1) آل عمران ٤١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٤٥.

(3) الأنفال ١٢.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٢٨.

(5) محمد ٤.

القصد وكيف قال: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[١]، أي فليس يتوهم بهذا الضرب محظور إلّــا على الرقبة فقط[٢].

الله عز وجل عبّر بالعنق أو الرقبة وأراد باقي الجسم وذلك على سبيل المجاز المرسل ذو العلاقة الجزئية، فأطلق الجزء وأراد الكل، وهذا واضح في قول الزجاج: وليس يتوهم بهذا الضرب محظور إلّا على الرقبة فقط.

---

[1] الأنفال ١٢.

[2] معاني القرآن وإعرابه ٦/٥.

ثالثا: الاستعارة

الاستعارة لغة:

مأخوذة من العارية: أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه، واستعار الشيء استعاره منه طلب منه أن يعطيه إياه[١].

الاستعارة عند البلاغيين:

قال أبو هلال العسكري هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غير الغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، لولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا[٢].

وقد عرفها الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى الاسم المشبه به فتغيره المشبه وتجريه عليه[٣].

وأخيرا نورد تعريفا للاستعارة لعله يكون أوضح التعريفات وأشملها وهو: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[٤].

---

[1] لسان العرب (عور).

[2] الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، ص٢٧٤.

[3] دلائل الإعجاز ص٦٠.

[4] من بلاغة القرآن: علوان ص٢١٤.

وقد أشار الزجاج إلى أسلوب الاستعارة لكنه لم يسمها، لكنه ذكرها مثالا.

الاستعارة المكنية:

وتسمى المكنى عنها، وهي التي اختفى فيها لفظ المشبه واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه[١].

وذلك في تفسيره لقول الله تعالى:

﴿... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

قال الزجاج: هذا مثل[٣]، أي كلما جمعوا على النبي والمسلمين وأعدوا لحربهم فرّق الله جمعهم وأفسد ذات بينهم[٤].

ويقصد بقوله: هذا مثل الاستعارة المكنية التي شبه فيها الحرب بالنار بجامع الحرق والقتل في كل، وحذف النار وهي المشبه به واتى بصفة من صفاتها وهي الإيقاد والإطفاء ثم اشتق منها أوقدوا وأطفأها على سبيل الاستعارة المكنية.

الاستعارة التبعية:

وهي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا[٥].

وذلك في قوله تعالى:

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/١٤٥.

(2) المائدة ٦٤.

(3) ذكر النار للاستعداد للحرب تمثيل.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٥٤.

(5) من بلاغة القرآن: علوان ص٢٢٢.

﴿**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾[١].

يقول الزجاج: والريح العقيم التي لا تأتي بسحاب يمطر، وإنما تأتي بالعذاب، واليوم العقيم الذي لا يأتي فيه خير[٢].

فالتشبيه في الآية على سبيل الاستعارة، فوقعت في الصفة المشبهة "العقيم" فهي استعارة تبعية.

وجاءت الاستعارة التبعية في الحروف كما في قوله تعالى:

﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[٣].

قال الزجاج: جاء في التفسير من أنصاري مع الله، و"إلى" ههنا إنما قاربت "مع" معنى بأن صار اللفظ لو عبر عنه "بمع" أفاد مثل هذا المعنى، لا أن "على" في معنى "مع"، لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز ذهب زيد مع عمرو، لأن "إلى" و"مع" تضم الشيء إلى الشيء، فالمعنى يضيف نصرته إيّاي إلى نصرة الله[٤]، فاستعار إلى بدلا من مع.

ومنه أيضا قوله تعالى:

﴿**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[٥].

قال الزجاج: معنى من الذين استحق عليهم الأوليان معناه، استحق فيهم، وقامت على مقام في كما قامت مقام على في قوله[١]:﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾[٢]، فاستعار في بدلا من على، على المجاز وليس على الحقيقة.

---

(1) الحج ٥٥.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٣/٢.

(3) آل عمران ٥٢.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/١.

(5) المائدة ١٠٧.

الاستعارة المرشحة:

هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه[٣].

وذلك في قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٤].

قد وضح الزجاج الاستعارة المرشحة في شرح هذه الآية دون أن يشير إلى نوعها، إذ يفهم ذلك من تفسيره وشرحه وذلك في قوله: ومعنى الكلام أن كل من ترك شيئا وتمسك بغيره، فالعرب تقول للذي تمسك به قد اشتراه، وليس ثمّ شراء ولا بيع، ولكن رغبة فيه بتمسكه به كرغبة المشتري بماله ما يرغب فيه[٥].

الاستعارة التصريحية:

وهي ما حذف فيها المشبه (المستعار له)وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه) [٦].

وذلك في قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾[٧].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١٧٦/٢.

(2) طه ٧١.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٥٣/١، من بلاغة القرآن: علوان ص٢٢٣.

(4) البقرة ١٦.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٨٨/١.

(6) من بلاغة القرآن: علوان ص٢١٨.

(7) آل عمران ١٠٣.

يقول الزجاج: المعنى كونوا مجتمعين على الاعتصام به، أي استمسكوا بعهد الله، والحبل في لغة العرب: العهد[1].

ومثله في قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2].

ومعنى الكلام أن كل من ترك شيئا وتمسك بغيره، فالعرب تقول للذي تمسك به قد اشتراه، وليس ثمّ شراء ولا بيع، ولكن رغبة فيه بتمسكه به كرغبة المشتري بماله ما يرغب فيه[3].

شبه الاستبدال بالشراء وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، وقد ذكرناه كمثال للاستعارة المرشحة.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٨/١.

(2) البقرة ١٦.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٨٨/١.

رابعا: الكناية

الكناية في اللغة:

أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال كنى عن الأمر بغيره، يكنى كناية يعني إذا تكلم بغير ما يستدل عليه، وتكنّى: تستر، من كنى عنه إذا ورّى، أو من الكنية[١].

وقد ذكر الزجاج المعنى اللغوي للكناية في شرحة لقول الله تعالى : ﴿**أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ**﴾[٢].

قال الزجاج: يقال في كل شيء تستره أكننته، وأكننته فيما يستره أكثر، وما صفته تقول فيه كننته فهو مكنون[٣]، قال الله عز وجل: ﴿**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾[٤].

الكناية عند البلاغيين:

عرفها أبو عبيدة أنها: هي ما فهم من سياق الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة[٥].

وعرفها الإمام عبد القاهر الجرجاني في قوله : هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه[٦].

---

(1) لسان العرب (كنى)

(2) البقرة ٢٣٥.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٢٧١/١.

(4) الصافات ٤٩.

(5) مجاز القرآن ٧٣/١.

(6) دلائل الأعجاز ص٤٠.

وقد كان للزجاج جهد جلي في تخريج الكناية في تفسيره للآيات القرآنية، ونذكر منها الكنايات التي تمكنت من استخراجها من كتابه للسور المدنية مرتبة حسب آيات القرآن الكريم وهي كالتالي:

شرحه لقول الله عز وجل:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(١).

قال الزجاج: هذا كناية عن "**أَحَدُهُمْ**" الذي جرى ذكره، كأنه قال: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره، ويصلح أن تكون "هو" كناية عما جرى ذكره من طول العمر فيكون: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل أن يعمر مبنيا على هو كأنه قال: ذلك الذي ليس بمزحزحه "أن يعمر"(٢).

وقوله عز وجل:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٣).

قال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، والمعنى ههنا كناية عن الجماع، أي أحلّ لكم ليلة الصيام الجماع، لأنه كان في أول فرض الصيام الجماع محرما

---

(1) البقرة ٩٦.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١٥٨/١.

(3) البقرة ١٨٧.

في ليلة الصيام، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة والنوم فأحل الله الجماع والأكل والشرب إلى وقت طلوع الفجر[1].

وكنى أيضا عن الجماع بالمباشرة في قوله: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾

قال الزجاج: معنى المباشرة هنا الجماع[2].

وقوله عز وجل:

﴿ ...**وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا**...﴾[3]

يقول الزجاج: قال أبو عبيدة: السر الإفصاح بالنكاح، وانشد:

ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع[4]

وقال غيره: كأن السر كناية عن الجماع، كما أن الغائط كناية عن الموضع، وهذا القول عندي صحيح[5].

قد أظهر الزجاج رأيه في هذه المسألة بأنها كناية.

وكذلك قوله تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٢١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٢٢.

(3) البقرة ٢٣٥.

(4) القَصْعةُ: الضَّخْمةُ تشبع العشرة، والجمع قِصاعٌ وقِصَعٌ.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٧٢.

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]

قال الزجاج: والغائط كناية عن مكان الحدث، والغيطان ما انخفض من الأرض[٢].

ونلاحظ تمكن الزجاج في تخريج الكناية في قول الله عز وجل:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[٣]

قال الزجاج: معناه هلا إذا سمعتموه، لأن المعنى "**ظَنَّ**" المؤمنون بأنفسهم في موضع الكناية عنهم وعن بعضهم، وكذلك يقال للقوم الذين يقتل بعضهم بعضا أنهم يقتلون أنفسهم[٤].

ومن الكنايات أيضا قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٥].

قال الزجاج: "**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا**" كناية عن الجماع، ودليل ذلك قوله: **﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾**[٦]، فالمعنى من قبل أن تدخلوا بهن[٧].

---

(1) المائدة ٦.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١٢٥/٢.

(3) النور ١٢.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٩/٤.

(5) المجادلة ٣.

(6) البقرة ٢٣٧.

(7) معاني القرآن وإعرابه ١٠٧/٥.

الفصـــــــل الثـــــالث

المحســـــنات البــــــــــديعية

عند الزجّاج

علم البديع

واضعه (عبد الله بن المعتز ت٢٧٤هـ)، ثم اقتفى أثره في عصره (قدامة بن جعفر الكاتب) فزاد عليها، ثم ألف فيه كثيرون (كأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحلي، وابن حجَّة الحموي) وغيرهم ممن زاد في أنواعه، ونظموا فيها قصائد تعرف (بالبديعيات) [1].

إن أول كتاب ظهر يحمل هذا الاسم هو البديع لعبد الله بن المعتز، ولقد كانت فنون البديع تشمل أكثر المباحث البلاغية، وعلى التحديد تشمل ما يعرف اليوم بمسائل علم البيان وبعض القضايا في علم المعاني، ونتيجة لحتمية التطور بدأت قضايا البديع تكون مجموعة خاصة لتفصل عن غيرها.

ولما ازدهرت علوم البلاغة على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني _رحمه الله_ لم تكن هذه العلوم استقرت على النهج الأخير الذي عرف فيما بعد، فكان الإمام عبد القاهر الجرجاني لم يولد الفنون البديعية كبير عناية، فنجده تحدث عن نظرية النظم التي عرفت فيما بعد بعلم المعاني، وتحدث أيضا عن علم البيان.

وكذلك نجد الإمام الزمخشري الذي يعتبر أول من فصل بين علمي المعاني والبيان لم يكن يعد علم البديع من صلب البلاغة، ثم جاء السكاكي فذكر المحسنات البديعية في مفتاحه لا على أنها علم مستقل، بل إنها محسنات فحسب.

ويظهر أن أول من جعل هذه المسائل علما مستقلا هو بدر الدين بن مالك في مصباحه، حيث قسم البلاغة إلى ثلاثة فنون وهي: المعاني، والبيان، والبديع.

فعلم المعاني: هي نظرية النظم التي تتحقق فيه مقولة (لكل مقام مقال).

وعلم البيان: الذي يؤدي به المعنى الواحد بصور متعددة.

وعلم البديع: الذي يأتي بعد هذين العلمين فهو علم المحسنات قد تكون من جهة اللفظ أو من جهة المعنى.

وقد تحدث الزجاج عن تلك العلوم الثلاثة في كتابه، إلّا أن جهده في علمي المعاني والبيان فاق جهده في علم البديع.

---

[1] جواهر البلاغة ص٣٦١.

علم البديع

البديع في اللغة:

جاء في لسان العرب" بدع: بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه. وبدَع الرَّكِيّة: استَنْبَطَها وأَحدَثها. ورَكِيٌّ بَدِيعٌ: حَدِيثةُ الحَفْر. والبَدِيعُ والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أَوّلاً. وفي التنزيل: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾[١]؛ أَي ما كنت أَوّلَ من أُرْسِلَ، قد أُرسل قبلي رُسُلٌ كثير[٢].

وفي الاصطلاح:

هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[٣]، والتحسين إما راجع إلى المعنى أو إلى اللفظ أو إليهما جميعا، والبحث عن القسم الثاني وظيفة الفصاحة وعن الأول والثالث وظيفة البلاغة[٤].

أو هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال، مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى[٥].

---

(1) الأحقاف ٩.

(2) لسان العرب (بدع) ١/١٧٥.

(3) عروس الأفراح ٢/٢٢٤.

(4) التبيان في البيان ص٤٢١.

(5) جواهر البلاغة ص٣٦١.

المحسنات البديعية التي ذكرها الزجاج في كتابه:

أولا: التجريد

لغة:

جرد: جَرَدَ الشيءَ يجرُدُهُ جَرْداً وجَرَّدَهُ: قشَره، وجَرَدَ الجِلْدَ يَجْرُدُه جَرْداً: نزع عنه الشعر[١].

اصطلاحا:

وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها، مبالغة لكمالها فيه[٢].

ومثال ذلك قوله عز وجل:

﴿... **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٣].

معناه: فلما تبين له كيف إحياء الموتى، قال: "**أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" ليس لأنه لم يكن يعلم قبل ما شاهد ولكن تأويله: أني قد علمت ما كنت أعلمه غيبا مشاهدة.

ومن قرأ "**اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" فتأويله: إذا جزم أنه يقبل على نفسه فيقول: اعْلم أيها الإنسان أن الله على كل شيء قدير، والرفع على الإخبار[٤]، فجاء التجريد في الآية على القراءة بلفظ الأمر وهي مخاطبة الإنسان نفسه، وتعتبر هذه إحدى طرق التجريد.

---

(1) لسان العرب (جرد) ٤٠٢/١.

(2) عروس الأفراح ٢٥٦/٢. التبيان في البيان ص٤٢٤.

(3) البقرة ٢٥٩.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٣/١.

ثانيا: المماثلة

لغة:

مثل: مِثل: كلمةُ تَسْوِيَةٍ. يقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُه بمعنى؛ قال ابن بري: الفرق بين المُماثَلة والمُساواة أَن المُساواة تكون بين المختلِفين في الجِنْس والمتَّفقين، لأَن التَّساوِي هو التكافُؤُ في المِقْدار لا يزيد ولا ينقُص، وأَما المُماثَلة فلا تكون إِلا في المتفقين، تقول: نحوُه كنحوِه وفقهُه كفقهِه ولونُه كلونِه وطعمُه كطعمِه، فإِذا قيل: هو مِثْلة على الإِطلاق فمعناه أَنه يسدُّ مسدَّه، وإِذا قيل: هو مِثْلُه في كذا فهو مُساوٍ له في جهةٍ دون جهةٍ[1].

اصطلاحا:

ذكرها قدامة بن جعفر بمعنى التمثيل فقال: وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يسير إليه[2].

كقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[3].

قال الزجاج: و "**فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ**" برفع مثل وجرها، فمن رفعها جميعا فرفعه على معنى: فعليه جزاء مثل الذي قتل، فيكون "مثل" من نعت الجزاء، ويكون أن ترفع "جزاء" على الابتداء، ويكون مثل قتل خبر الابتداء ويكون المعنى: فجزاء مثل ذلك الفعل مثل ما قتل، ومن جرَّ أراد فعليه جزاء مثل ذلك المقتول من النَّعَمِ[4].

---

(1) لسان العرب (مثل) ٦/١٤.

(2) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي_ القاهرة، ط٣، ١٩٧٨، ص١٥٨.

(3) المائدة ٩٥.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٦٧-١٦٨.

فالمماثلة واقعة بين ما يقتله المحرم متعمدا وبين الكفارة التي يجب عليه إخراجها جزاء لما فعل.

ومنه أيضا قوله تعالى:

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١).

يقول الزجاج: فإن قال قائل: فهل للإيمان مثل هو غير الإيمان؟ قيل له:
المعنى واضح بيّن، وتأويله فإن أتوا بتصديق مثل تصديقكم وإيمانكم بالأنبياء، ووحدوا كتوحيدكم فقد اهتدوا، أي صاروا مسلمين مثلكم(٢).

ومن المماثلة أيضا قول الله تبارك وتعالى:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾(٣).

قال الزجاج: وأما ما ينفع الناس من الماء والفضة والذهب والحديد وسائر ما ذكرنا فيمكث في الأرض، فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الآلات التي ذُكرت لأنها كلها تبقى منتفعا بها، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء، وكمثل خبث الحديد، وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به(٤).

---

(1) البقرة ١٣٧.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١/١٨٧.

(3) الرعد ١٧.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣/١١٨-١١٩.

ثالثا: اللف والنشر

لغة:

الطَّيُّ: نَقِيضُ النَّشْرِ، طَوَيْته طَيّاً وطِيَّةً وَطِيَةً، بالتخفيف؛ الأَخيرة عن اللحياني وهي نادرة، وحكى: صَحِيفة جافيَة الطِّيَةِ، بالتخفيف أَيضاً، أَي الطَّيّ. وحكى أَبو علي: طَيَّةٌ وطُوًى ككَوَّة وكُوًى، وطَوَيته وقد انطَوَى واطَّوَى وتَطَوَّى تَطَوِّياً، وحكى سيبويه: تَطَوَّى انْطِواءً[١].

اصطلاحا:

وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يردّه إليه[٢]، وهو على ضربين:

الأول: اللف والنشر المجمل.

ومنه قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣].

يقول الزجاج: الإخبار في هذا عن أهل الكتاب. وعقد النصارى معهم في قوله "وقالوا" لأن الفريقين يقرآن التوراة، ويختلفان في تثبيت رسالة موسى وعيسى، فلذلك قال الله عز وجل: وقالوا" فأجمعوا.

فالمعنى أن اليهود قالت لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، والنصارى قالت لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، وجاز بأن يلفظ بلفظ الجمع لأن معنى "من" معنى جماعة، فحمل الخبر على المعنى، والمعنى إلا الذين كانوا هودا وكانوا نصارى[٤].

---

(1) لسان العرب (طوي).

(2) عروس الأفراح ٢٤٦/٢.

(3) البقرة ١١١.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١٧١/١.

يفهم من كلام الزجاج وتحليله للآية أن فيها لف ونشر حيث أن اللف مجمل والنشر مفصل، قال القزويني "فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله، وأمنا من الإلباس لما عَلِم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه"[١].

الثاني: اللف والنشر المفصل.

وقوله عز وجل:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢].

قال الزجاج :"أي يثبت لهم العذاب ذلك اليوم، وابيضاضها إشراقها وإسفارها: قال الله عز وجل: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ** ﴾[٣]، أسفرت واستبشرت لما تصير إليه من ثواب الله ورحمته، "**وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**" اسودادها لما تصير إليه من العذاب، قال الله: ﴿ **وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ**﴾[٤]"[٥].

قد وضح الزجاج اللف والنشر، وهذا تفصيل بعد إجمال، أي نشر بعد لف، وهذا ما قال عنه الزركشي: " أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مرتبة من آخرها، ويسمى رد العجز على الصدر"[٦].

---

(1) الإيضاح ص٣٥٦.

(2) آل عمران ١٠٦-١٠٧.

(3) عبس ٣٨-٣٩.

(4) عبس ٤٠.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٨١.

(6) البرهان ٣/٤٦١.

رابعا: المشاكلة

في اللغة:

الشكل بالفتح: الشِّبه والمثل، وقد تشاكل الشيئان وشاكل كلٌّ منهما صاحبه، والـشَّكْل: المِثل، تقول هذا على شكل هذا أي مثاله، وفلان شكل فلان أي مثله في حالاته. ويقال: هـذا من شكل هذا أي من ضربه ونحوه، والمشاكلة: الموافقة(١).

وفي الاصطلاح:

وهي ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته، تحقيقا أو تقديرا(٢).

وهي أن يأتي المتكلم في كلامه أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعدا من البيت الواحد، وكذلك الاسم في كل موضع من الموضعين مسمّى غير الأول، تدل صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في الخط واللفظ، ومفهومها مختلف.

منه قول أبي سعيد المخزومي:

حَدَقُ الآجالِ آجالُ   والهوى للمرْءِ قتّالُ

قال التبريزي: فلفظة الآجال الأولى: أسراب البقر الوحشية، والثانية منتهى الأعمار(٣).

---

(1) لسان العرب (شكل) ٤٦٣/٣.

(2) عروس الأفراح ٢٣٧/٢.

(3) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: لابن أبي الأصبع المصري، تقديم وتحقيق د.حفني محمد شرف، القاهرة ١٩٩٥، ص٣٩٣.

ومنه قوله تعالى:

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١].

وضح الزجاج المشاكلة في الآية قائلا: أي من ظلم فقاتل فقد اعتدى، فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، وسمي الثاني اعتداء أنه مجازاة اعتداء فسمّي بمثل السمة، لأن صورة الفعلين واحدة وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول ظلمني فلان فظلمته أي جازيته بظلمه، وجهل عليّ فجهلت عليه أي جازيته بجهله[٢]، قال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٣].

قال الزجاج: ومعنى تعلم ما في نفسي، أي تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما في نفسك.

لا أعلم ما في حقيقتك، وما عندي علمه، فالتأويل: أنك تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم ويدل عليه "**إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**".

فأنما هو راجع إلى الفائدة في المعلوم والتوكيد أن الغيب لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه[٤].

وقوله عز وجل:

---

(1) البقرة ١٩٤.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٨/١.

(3) المائدة ١١٦.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١٨٠/٢.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١].

يقول الزجاج: لأن مكر الله إنما هو مجازاة ونصر للمؤمنين، فالله خير الماكرين[٢].
فالمكر من الله سبحانه مشاكلة، هو رد كيدهم وتعذيبهم على أفعالهم.

ومنه قوله تعالى:
﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٣].
معنى نفسه :إيَّاه، إلا أن النفس يستغنى بها عن إيَّاه[٤].
وعلى المشاكلة جائز أن يكون المقصود، يحذركم الله عقابه، والله أعلم.

---

(1) الأنفال ٣٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٢/٢.

(3) آل عمران ٢٨.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٤/١.

خامسا: المبالغة

في اللغة:

بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا إذا اجتهد في الأمر، وبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه. وبلغ النبت انتهى، والمُبالَغةُ: أَن تَبْلُغَ في الأَمر جُهْدَك. ويقال: بُلِغَ فلان أَي جُهِدَ، وأَمرٌ بالغ: جيد(١).

أما في الاصطلاح:

أن يُدَّعى لوصف بلوغه في الشِّدَّة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا، لئلا يظنَّ أنه غير متناه فيه(٢)، أي في الشِّدَّة أو الضعف.

وتنحصر المبالغة في ثلاثة أنواع(٣):

١- تبليغ:

إن كان ذلك الادعاء للوصف في الشدة أو الضعف ممكنا عقلا وعادة نحو قوله تعالى: **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾**(٤).

وفي الآية إعجاز علمي يوضح حقيقة هذه الظلمات.

٢- إغراق:

إذا كان الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكنا عقلا لا عادة، ومنه قول الشاعر:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

---

(1) لسان العرب (بلغ) ٢٤٦/١.

(2) عروس الأفراح ٢٦٠/٢.

(3) البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع: د.فضل عباس، دار الرقان للنشر والتوزيع_عمان، ط١، ١٩٨٥، ص٣٨٥.

(4) النور ٤٠.

٣- غلو:

إن كان الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف مستحيلا عقلا وعادة، قال الشاعر:

تكـــاد قِـــسِيُّه مـــــن غيـــر رامٍ   تمكـــن فـــي قلـــوبهم النبـــالا

ونجد المبالغة في شرح الزجاج وذلك بتفسيره لقول الله عز وجل:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

قال الزجاج: أي أنهن لا يحتجن إلى ما يحتاج إليه نساء أهل الدنيا من الأكل والشرب، ولا يحضن، ولا يحتجن إلى ما يُتطهر منه، وهن على هذا طاهرات طهارة الأخلاق والعفة، فـ"**مُطَهَّرَةٌ**" تجمع الطهارة كلها، لأن "**مُطَهَّرَةٌ**" أبلغ في الكلام من طهارة، و لأن مطهرة إنما يكون للكثير(٢).

ومن المبالغة أيضا قوله تبارك وتعالى:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآَيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٣).

أي مبالغة في الصدق والتصديق، وإنما وقع عليها صديقة لأنه أرسل إليها جبريل، فقال الله عز وجل: **﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾**(٤).

وصدِّيق فعيل مع أبنية المبالغة كما تقول: فلان سكِّيت، أي مبالغ في السكوت(٥).

---

(1) البقرة ٢٥.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٩٦/١.

(3) المائدة ٧٥.

(4) التحريم ١٢.

(5) معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٢.

ومن المبالغة أيضا قوله جل ثناؤه:

﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[١].

قال الزجاج: "**أَثْخَنْتُمُوهُمْ**" أكثرتم فيهم القتل، كما قال: **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[٢].
فالأسر بعد المبالغة في القتل[٣].

---

(1) محمد ٤.

(2) الأنفال ٦٧.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٦/٥.

الفصـــــــل الرابع

توجيه القراءات القرآنية بلاغيا

روى البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة "الفرقان" في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أُساوره – أي أثب عليه – في الصلاة، فصبرت حتى سلم، فَلَبَّبْتُه بردائه – أي أمسك بردائه من موضع عنقه – فقلت: من أقرأك هذه السورة ؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأ فيها، فقال: أرسله – أي اتركه – اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه) .

وقد أجمع أهل العلم على أن القرآن الكريم نُقل إلينا عن النبي صلى الله عليه وسلم بروايات متعددة متواترة، ووضع العلماء لذلك علماً أسموه علم "القراءات القرآنية" بينوا فيه المقصود من هذا العلم، وأقسام تلك القراءات وأنواعها، وأهم القراء الذين رووا تلك القراءات، إضافة لأهم المؤلفات التي دوِّنت في هذا المجال.

وقد اتفقت كلمة أهل العلم على أن ما وراء القراءات العشر التي جمعها القراء، شاذ غير متواتر، لا يجوز اعتقاد قرآنيته، ولا تصح الصلاة به، والتعبد بتلاوته، إلا أنهم قالوا: يجوز تعلُّمها وتعليمها وتدونيها، وبيان وجهها من جهة اللغة والإعراب.

والقراءات التي وصلت إلينا بطريق متواتر عشر قراءات، نقلها إلينا مجموعة من القراء امتازوا بدقة الرواية وسلامة الضبط، وجودة الإتقان، وهم[1]:

قراءة نافع المدني، وأشهر من روى عنه قالون و ورش .
قراءة ابن كثير المكي، وأشهر من روى عنه البَزي و قُنْبل .
قراءة أبي عمرو البصري، وأشهر من روى عنه الدوري و السوسي .
قراءة ابن عامر الشامي، وأشهر من روى عنه هشام و ابن ذكوان .

---

[1] مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار: للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠، ص٢٩. وانظر: فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم: إعداد محمد سعيد اللحام، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٥، ص٣.

قراءة عاصم الكوفي، وأشهر من روى عنه شعبة و حفص .
قراءة حمزة الكوفي، وأشهر من روى عنه خَلَف و خلاّد .
قراءة الكِسائي الكوفي، وأشهر من روى عنه أبو الحارث ، و حفص الدوري.

تمام القراء العشرة[١]:
قراءة أبي جعفر المدني، وأشهر من روى عنه ابن وردان و ابن جُمَّاز .
قراءة يعقوب البصري، وأشهر من روى عنه رُوَيس و رَوح .
قراءة خَلَف ، وأشهر من روى عنه إسحاق و إدريس .

وكل ما نُسب لإمام من هؤلاء الأئمة العشرة، يسمى (قراءة) وكل ما نُسب للراوي عن الإمام يسمى (رواية) فتقول مثلاً: قراءة عاصم براوية حفص ، وقراءة نافع برواية ورش ، وهكذا.

ومن الكتب المعتمدة في علم القراءات كتاب " النشر في القراءات العشر" للإمام الجزري ، وهو من أجمع ما كُتب في هذا الموضوع، وقد وضعت عليه شروح كثيرة، وله نظم شعري بعنوان "طيِّبة النشر".

(1) الحجة للقراء السبعة: لأبي على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط١، ٢٠٠١، ١/١٨.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

قال الزجاج: والقراءة المجمع عليها "**يُذَبِّحُونَ**" بالتشديد، ورواية شاذة يذْبحون أبناءكم، والقراءة المجمع عليها أبلغ، لأن "**يُذَبِّحُونَ**" للتكثير، ويذْبحون يصلح أن يكون للقليل و(للكثير)، فمعنى التكثير هنا أبلغ[2].

قرأ الزهري وابن محيصن (يذبحون مخففا)، وعبد الله (يقتلون) مخففا[3].

فمعنى كلام الزجاج أنه وافق القراءة بالتشديد، أي أنه يذكر المبالغة في هذا الباب، ويُعتبر هذا من باب الإغراق في المبالغة.

فالقراءة الأولى يذبحون بالتشديد تفيد المبالغة والإنكار، والقراءة الثانية تصلح للمبالغة وغيرها، أي للقليل والكثير كما وضح الزجاج.

وقوله عز وجل:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[4].

القراءة على ضربين: تعبدون ويعبدون بالياء والتاء وقد روي وجه ثالث لا يؤخذ به لأنه مخالف للمصحف، قرأ ابن مسعود: لا تعبدون، ورفع لا تعبدون بالتاء على ضربين: على أن يكون "لا" جواب القسم لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم، والدليل على ذلك قوله: **﴿وَإِذْ**

---

(1) البقرة ٤٩.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ١٩٨٧، ٢٥٤/١.

(4) البقرة ٨٣.

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ...﴾[1]، فجاء جواب القسم باللام، فكذلك هو بالنفي بلا، ويجوز أن يكون رفعه على إسقاط "أن" على معنى "ألا تعبدوا" فلما سقطت أن رفعت، وهذا مذهب الأخفش وغيره من النحويين، فأما القراءة بالتاء فعلى معنى الخطاب والحكاية كأنه قيل: قلنا لهم لا تعبدون إلا الله، وأما لا يعبدون بالياء فإنهم غيبٌ[2]، وعلامة الغائب الياء[3].

قوله: "**لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**" قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، وردوه إلى لفظ الغيبة الذي قبله، في قوله: " **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ** "، وقرأ الباقون بالتاء، حملوه على الخطاب، وعلى ما بعده من الخطاب في قوله: " **ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ**"، وقوله: " **وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**"، وقوله: "ومن يفعل ذلك منكم" ووقوع الأمر بعده، يدل على قوة الخطاب، وذلك قوله: " **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ**"، فجرى صدر الكلام في ذلك على حكم آخره[4].

فالقراءة على "تعبدون" بالتاء جواب للقسم المقدر لأن الميثاق بمنزلة القسم كما قال الزجاج، وهذا يُظهر وجهة بلاغية، وهي خروج الخبر على معنى الأمر، أما القراءة الثانية "يعبدون" بالياء فهي على النهي، "لا يعبدون" وهذه القراءة للغائب، وأما قراءة "فلا تعبدون" فهي للمخاطب، وههنا يظهر الالتفات في اختلاف القراءتين.

وقوله عز وجل:

﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾[5].

وتقرأ "**وَلَا تَسْأَلُ**" ورفع القراءتين جميعا على جهتين: إحداهما أن يكون "**وَلَا تُسْأَلُ**" استئنافا، كأنه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال عز وجل: ﴿... **فَإِنَّمَا عَلَيْكَ**

---

(1) آل عمران ١٨٧.

(2) غيبٌ: جمع غائب.

(3) معاني القرآن وإعرابه ١/١٤٥.

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤، ١/٢٤٩.

(5) البقرة ١١٩.

الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[١]، ويجوز أن يكون الرفع على الحال، فيكون المعنى أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم.

ويجوز أيضا "**ولَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**" وقد قرئ به فيكون جزما بلا، وفيه قولان على ما توجبه اللغة: أن يكون أَمَرَهُ الله بترك المسألة، ويجوز أن يكون النهي لفظا، ويكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب، كما يقول لك القائل الذي تعلم أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حال جميلة أو حال قبيحة، فتقول لا تسأل عن فلان أي قد صار إلى أكثر مما تريد، ويقال: سألته أسأله مسألة وسؤالا، والمصارد على فُعال تَقِلُّ في غير الأصوات والأدواء، فأما في الأصوات فنحو: الدعاء والبكاء والصراخ، وأما في الأدواء فنحو: الزكام والسعال وما أشبه ذلك، وإنما جاء في السؤال أن السؤال لا يكون إلا بصوت[٢].

قرأ نافع ويعقوب " **ولَا تَسْأَلْ**" من قوله: " **ولَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**"، بفتح التاء، وجزم اللام، وذلك على النهي، وظاهره أنه نهي حقيقة، نُهي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسأل عن أحوال الكفار، لأن سياق الكلام على أن ذلك عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب، وقرأ الباقون " **ولَا تُسْأَلُ**" بضم التاء، ورفع اللام، وذلك على الاستئناف، والمعنى على ذلك أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا، لأن ذلك ليس إليك، إن عليك إلا البلاغ، إنك لا تهدي من أحببت، إنما أنت منذر، وفي ذلك تسليه له صلى الله عليه وسلم وتخفيف ما كان يجده من عنادهم، فإنه قيل له، لست مسئولا عنهم فلا يحزنك كفرهم[٣].

فقراءة الرفع جاءت لتطابق ما قبلها وما بعدها، فما قبله خبر وما بعده خبر.

أما قراءة نافع فهي على النهي الذي يفيد التعظيم والتفخيم، أي لا تسأل عنهم يا محمد فقد وصلوا إلى أشد العذاب.

---

(1) الرعد ٤٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١٧٦/١.

(3) الهادي في شرح طيّبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها: د. محمد سالم محيسن، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ١٩/٢.

وقوله عز وجل:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

قرئت على ضربين "**لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ**" برفع الراء على معنى: لا تكلف نفسٌ، على الخبر الذي فيه معنى الأمر، ومن قرأ: "**لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ**" بفتح الراء، فالموضع موضع جزم على النهي[٢].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب " **لَا تُضَارُّ**" من قوله تعالى: " **لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا**" برفع الراء المشددة، على أنه فعل مضارع من "**ضَارَّ**" مشدد الراء مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، ولا نافية ومعناها النهي للمشاكلة، وقرأ أبو جعفر بسكون الراء مخففة بخلف عنه، على أنه مضارع من (ضار: يضير) ولا ناهية والفعل مجزوم بها[٣].

ففي الآية تخريج النهي إلى معنيين، قراءة لا تحمل إلا النهي الحقيقي وهي قراءة أبي جعفر، وقراءة يحمل فيها معنى الأمر، وهذا معنى (ولا نافية ومعناها المشاكلة) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب.

ووجه القراءة بالرفع أنه جعله نفيا لا نهيا، وأنه أتبعه ما قبله من قوله: "**لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا**" وأيضا فإن النفي خبر، والخبر قد يأتي موضع الأمر نحو قوله "**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ**"[٤]، وقوله "**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**"[٥]، فكذلك أتى بلفظ الخبر، ومعناه النهي، فذلك شائع في كلام العرب.

---

(1) البقرة ٢٣٣.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٨/١.

(3) الهادي: ٢/٨٠-٨١.

(4) البقرة ٢٨٨.

(5) الصف ١١.

ووجه القراءة بالفتح أنه جعله نهيا على ظاهر الخطاب، فهو مجزوم، ... ويقوى حمله على النهي أن بعده أمرا في قوله: "**وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ**"(١).

وقوله عز وجل:

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾(٢).

الجزم في "**نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**" الوجه على الجواب للمسألة التي في لفظ الأمر، أي ابعث لنا ملكا نقاتل، أي إن تبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله.

ومن قرأ "**مَلِكًا يُقَاتِلْ**" بالياء فهو على صفة الملك، ولكن "**نُقَاتِلْ**" هو الوجه الذي عليه القراء، والرفع فيه بعيد يجوز على معنى فإنَّا نقاتل في سبيل الله، وكثير من النحويين لا يجيز الرفع في نقاتل(٣).

وقوله عز وجل:

﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾(٤).

وتقرأ "**سَتُغْلَبُونَ**"، فمن قرأ بالتاء فللحكاية والمخاطبة، أي قل لهم في خطابك ستغلبون، ومن قال سيغلبون فالمعنى بلغتهم أنهم سيغلبون وهذا فيه أعظم آية للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أنبأهم بما لم يكن، وأنبأهم بغيب، ثم بأن تصديق ما أنبأ به لأنه صلى الله عليه وسلم غلبهم أجمعين كما أنبأهم(٥).

---

(1) الكشف ٢٩٦/١.

(2) البقرة ٢٤٦.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٨/١.

(4) آل عمران ١٢.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٣٢١/١.

قوله: "**سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ**" قرأها حمزة والكسائي بالياء وقرأها الباقون بالتاء.

وحجة من قرأ بالتاء أنه أمر من الله لنبيه أن يخاطبهم بذلك، فهو خطاب للكفار من النبي، بأمر الله له، والتاء للخطاب لليهود، بأنهم سيغلبون ويحشرون إلى جهنم ... وحجة من قرأ بالياء أنه أتى به على لفظ الغيبة، لأنهم غُيَّب، حين أمر الله نبيه بالقول لهم، وهم اليهود، وقيل هم المشركون وكلاهما غائب[1].

قرأ الكسائي وحمزة وخلف العاشر: سيغلبون ويحشرون من قوله تعالى: "**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**" سيغلبون ويحشرون بياء الغيب فيها والضمير للذين كفروا، والجملة محكية بقول آخر لا بل "قل"ك أي قل لهم يا محمد قولي هذا أنهم سيغلبون ويحشرون إلى جهنم وبئس المهاد.

وقرأ الباقون "ستغلبون وتحشرون" والمعنى قل يا محمد للذين كفروا من اليهود لا تغتروا بكثرتكم فإنكم ستغلبون في الدنيا بالقتل والأسر، وضرب الجزية عليكم، أما في الآخرة فإنكم ستحشرون إلى جهنم وبئس المهاد، وهذا وعيد وتهديد لهم بعدم الإيمان[2].

فهذه صورة من صور الالتفات، وفي القراءة الثانية "سيغلبون" إنباء الغيب وهو سر من أسرار الإعجاز البلاغي في القرآن.

وقوله تبارك وتعالى:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3].

و" فناداه الملائكة" الوجهان جميعا جائزان، لأن الجماعة يلحقها اسم التأنيث، لأن معناها معنى جماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير، كما يقال جمع الملائكة، ويجوز أن

---

(1) الكشف ٣٣٥/١.

(2) الهادي ١٠٣/٢.

(3) آل عمران ٣٩.

تقول نادته الملائكة وإنّما ناداه جبرائيل وحده لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس، كما تقول ركب فلان في السُّفن، وإنما ركب سفينة واحدة، تريد بذلك جعل ركوبه في هذا الجنس(١).

وقوله عز وجل: "**فَنَادَتْهُ**" قرأ حمزة والكسائي بألف على التذكير، ويميلانها لأن أصلها الياء ولأنها رابعة، وقرأ الباقون بالتاء على لفظ التأنيث، وحجة من قرأ بالألف أنه ذكر على المعنى، وقد أجمعوا على التذكير في قوله: "**وَقَالَ نِسْوَةٌ**"(٢)، وقد قيل إنما ناداه جبريل وحده، فالمعنى فناداه المَلَك، فلا وجه للتأنيث على هذا التفسير.

وأيضا فقد اختار قوم الألف، لئلا يوافق التأنيث دعوى الكفار في الملائكة.

وأيضا فإن الملائكة والملائك واحد، وأيضا فقد فرَّق بين المؤنث وفعله بالهاء، فقوي التذكير.

وحجة من قرأ بالتاء أنه أنَّث لتأنيث الجماعة التي بعدها في قوله: "الملائكة" والجماعة ممن يعقل في التكسير، يجري في التأنيث مجرى ما لا يعقل، تقول: هي الرجال، وهي الجذوع، وهي الجمال، و"**قَالَتِ الْأَعْرَابُ**"(٣)، ويقوي ذلك قوله: "**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ**"(٤)، وقد ذكر في موضع آخر فقال: "**وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ**"(٥)، وهذا إجماع، وقال : "**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ**"(٦)،فتأنيث هذا الجمع وتذكيره جائزان حسنان(٧).

ونلاحظ من خلال التفاسير الوجهة البلاغية في قراءة التأنيث وهي من خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، حيث وضع الجمع موضع المفرد، فوضع جمع الملائكة موضع جبريل وهو المفرد.

والقراءة الثانية هي قراءة التذكير، لأن تذكير هذا الجمع وتأنيثه جائزان.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٤١.

(2) يوسف ٣٠.

(3) الحجرات ١٤.

(4) آل عمران ٤٥.

(5) الأنعام ٩٣.

(6) الرعد ٢٣.

(7) الكشف ١/٢٤٢-٢٤٣.

وقوله عز وجل:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١].

تفسيرها" كم من نبي" وفيها لغتان جيدتان بالغتان يقرأ بهما جميعا: يقرأ **وَكَأَيِّنْ** بتشديد، وكائن على وزن فاعل، وأكثر ما جاء الشعر على هذه اللغة[٢]، قال جرير:

وكائن بالأباطح من صديق إني لو أصبت هو المصابا

وقال الشاعر أيضا[٣]:

وكائن رددنا عنكمو من مدجج يجيء أمام الألف يردي مقنعا

ومثل التشديد قوله:

كأيِّن في المعاشر من أناس أخوهم فوقهم وهم كرام

قرأ ابن كثير "وكائن" بالمد والهمز على وزن كاعن، وتبيين الهمز أبو جعفر، وقرأ الآخرون: " وكأين" بالهمز والتشديد، ومعناه: وكم وهي كاف التشبيه ضمنت إلى أي الاستفهامية ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة.

أصل كأين: أي، دخلت عليها كاف التشبيه وصار في معنى كم التي للتشبيه[٤].

---

[1] آل عمران ١٤٦.

[2] معاني القرآن وإعرابه ٣٩٩/١.

[3] هو عمرو بن شاس من فحول الجاهليين المخضرمين، عده ابن سلام من شعراء الطبقة العاشرة.

[4] معالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ط١، ٢٠٠٢م، دار الفكر، بيروت-لبنان، ٣٤٥/١-٣٤٦.

وقوله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

وأن "**يُغَلَّ**" قرئتا جميعا.

فمن قرأ "**أَنْ يَغُلَّ**" فالمعنى: وما كان لنبي أن يَخُونَ أمته، وتفسير ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الغنائم في غزاة، فجاءه جماعة من المسلمين فقالوا: ألا تقْسم بيننا غنائمنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لو أن لكم عندي مثل أحد ذهبا ما منعتكم درهما أترونني أغلكم مغنمكم، ... ومن قرأ " **أَنْ يُغَلَّ**"، فهو جائز على ضربين: أى ما كان لنبي أن يَغُلَّه أصحابه، أي يُخَوِّنوه، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم "لا يحبس أحدكم خيطا ولا مخيطا".

وأجاز أهل اللغة أن يُغَلَّ أن يُخَوَّنَ[2].

في قوله تعالى: "**يَغُلَّ**" قراءتان فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين[3].

يتضح من كلام الزجاج أن القراءة الأولى وهي فتح الياء وضم الغين أنها جاءت على النفي، والغرض من النفي هنا التنزيه للأنبياء.

أما القراءة الثانية بضم الياء وفتح الغين ففيه نفي الغلول عن أصحاب النبي فلا يخوِّنوه، والغرض من النفي هنا هو النهي عن ذلك.

---

(1) آل عمران ١٦١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٦/١.

(3) الكشف ٣٦٣/١.

وقوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

القراءة بالنصب، وقد قرئت بالخفض، وكلا الوجهين جائز في العربية، فمن قرأ بالنصب فالمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم، على التقديم والتأخير، والواو جائز فيها ذلك(٢).

وقوله عز وجل:

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

"**فَرَضْنَاهَا**" بتخفيف الراء، ويقرأ بالتشديد في الراء، فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: ألزمناكم العمل بما فرض فيها، ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين: أحدهما على معنى التكثير، على معنى إنَّا فرضنا فيها فروضا كثيرة، وعلى معنى بيَّنا وفصَّلنا ما فيها من الحلال والحرام(٤).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو مشددا على التكثير، وذلك لكثرة ما في هذه السورة من الفرائض، وقرأ الباقون بالتخفيف، لأنه يقع للقليل والكثير.

وقيل التخفيف على معنى أوجبنا أحكامها بالفرض عليكم، والاختيار التخفيف لأن الجماعة عليه(٥).

---

(1) المائدة ٦.

(2) معاني القرآن وإعرابه ١٢٣/٢.

(3) النور ١.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٢/٤.

(5) الكشف ١٣٣/٢.

وقوله عز وجل:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

"**أَهْلَ الْبَيْتِ**"، منصوب على المدح، ولو قرئت "**أَهْلِ الْبَيْتِ**" _بالخفض_ أو قرئت "**أَهْلُ الْبَيْتِ**" بالرفع ، لجاز ذلك ولكن القراءة بالنصب، وهو على وجهين: على معنى أعني أهل البيت، وعلى النداء، على معنى يا أهل البيت، والرجس في اللغة كل مستنكر مستقذر من مأكول أو عمل أو فاحشة.

وقيل: إن أهل البيت ههنا يعني به نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: نساء النبي والرجال الذين هم آله، واللغة تدل على أنه للنساء والرجال جميعا لقوله "**عَنْكُمُ**" بالميم، وليطهركم، ولو كان للنساء لم يجز إلا عنكن ويطهركن، والدليل على هذا قوله: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ...**﴾[٢]، حين أفرد النساء بالخطاب[٣].

وقوله عز وجل:

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾[٤].

وتقرأ: "**لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ**" _بالتاء_ فمن قرأ بالياء فلأن الياء في معنى جمع النساء، والنساء يدل على التأنيث فيستغنى عن تأنيث "**يَحِلُّ**"، ويجوز "**لَا تَحِلُّ**" _بالتاء_ على معنى لا تحل لك جماعة النساء[٥].

---

(1) الأحزاب ٣٣.

(2) الأحزاب ٣٤.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٧١-١٧٢.

(4) الأحزاب ٥٢.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٧٧.

اختلف القراء في "**لَا تَحِلُّ**" من قوله تعالى: "**لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ**"، فقرأ البصريان أبو عمرو ويعقوب "**لَا تَحِلُّ**" بتاء التأنيث، لتأنيث الفاعل وهو النساء، إذ المعنى مؤنث على تقدير جماعة النساء.

وقرأ الباقون "**لَا يَحِلُّ**" بياء التذكير، على معنى جمع النساء(١).

وقوله عز وجل:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

ويقرأ: "**فَيُضَاعِفَهُ لَهُ**" بالنصب، فمن نصب فعلى جواب الاستفهام بالفاء، ومن رفع فعلى العطف على "**يُقْرِضُ**" ويكون على الاستئناف على معنى فهو يضاعفه له، ومعنى "**يُقْرِضُ**" ههنا يفعل فعلا حسنا في إتباع أمر الله وطاعته، والعرب تقول لكل من فعل إليها خيرا: قد أحسنت قرضي، وقد أقرضتني قرضا حسنا، إذا فعل به خيرا، قال الشاعر:

وإذا جوزيت قرضا فاجزه ... إنما يجزي الفتى ليس الجمل

المعنى: إذا أسدى لك معروف فكافئ عليه(٣).

وقوله عز وجل:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٤).

---

(1) الهادي ٣/١٤٨-١٤٩.

(2) الحديد ١١.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٥/٩٧-٩٨.

(4) الحديد ١٦.

قال الزجاج: وقرئت بالتاء "**تَكُونُوا**"[١].

اختلف القراء في "**لَا يَكُونُوا**" من قوله تعالى: "**وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ**"، فقرأ رويس "**وَلَا تَكُونُوا**" بتاء الخطاب، على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، لأن المقام للغيبة، إذ المراد المؤمنون.

وقرأ الباقون "**لَا يَكُونُوا**" بتاء الغيبة، جريا على السياق، لأن قبله قوله تعالى: "**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**"[٢].

وقوله عز وجل:

﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**﴾[٣].

وقرئت يبدله بتشديد الدال وفتح الباء، و "**يُبَدِّلَهُ**" للتكثير، وكلاهما جيد، وقد قرئ به[٤].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٥/٩٩.

(2) الهادي ٣/٢٧٠.

(3) التحريم ٥.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٥٠.

الفصل الخامس

قيمة الكتاب العلمية بين الكتب وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج الزَّجاج في كتابه.

المبحث الثاني: تأثر الزَّجاج بالعلماء السابقين.

المبحث الثالث: تأثير الزَّجاج بالعلماء اللاحقين.

قيمة الكتاب العلمية بين الكتب

المبحث الأول

منهجه في الكتاب

يعتبر كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج من أهم آثار الزجاج، وعادة ما يضعه علماء وكتَّاب التراجم في مقدمة كتبه.

وقد ذكر الزجاج هذا الاسم في مقدمة كتابه فقال: هذا كتاب مختصر في إعراب القرآن ومعانيه[1].

استغرق الزجاج في تأليف هذا الكتاب نحو ستة عشر عامل، بدأ يمليه سنة ٢٨٥هـ وانتهى منه سنة ٣٠١هـ، أملاه وهو في القمة من نضجه الفكري[2].

وسوف تتضح لنا قيمة الكتاب العلمية بين كتب التفسير في المبحثين القادمين إن شاء الله، حيث نجد فيها أن الزجاج نقل أقوالا لعلماء أمثال سيبويه، والمبرد، وأبي عبيدة، والحسن البصري، وهذا ما يزيد الكتاب قيمة واسعة ومكانة عظيمة.

وسنجد أيضا مدى تأثر العلماء اللاحقين للزجاج، وأخذهم نصوصا مطابقة من نصوص الزجاج، وهذا أيضا مما يزيد الكتاب مكانة علمية، حيث أخذ عنه كثير من العلماء اللاحقين له مثل، أبي السعود، والشوكاني، وابن الجزري، والبغوي، وغيرهم.

وقيمة الكتاب اللغوية هي التي اجتذبت إليه الأنظار، وقد قرر الزمخشري في كشافه الذي يعتبر أول كتاب في التفسير يتناول الدرس البلاغي والإعجاز القرآني بالشرح والتحليل أنه اعتمد على الزجاج في دراسته اللغوية، وغيره من كتب التفسير حيث كان أصحابها ينقلون

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٤٥/١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٢/١.

عن الزجاج لا المعنى اللغوي فقط، بل في الجوانب الأخرى من جوانب التفسير، فابن منظور نجده يورد رأي الزجاج وينقل عنه الشواهد الشعرية أيضا.

بعد أن بينا قيمة هذا التفسير بالنسبة للتفاسير الأخرى نريد أن نبين الطريقة التي سلكها الزجاج في تفسيره، وتوضيح منهجه في الكتاب.

فالزجاج يبدأ بعد ذكره للآية القرآنية يختار ألفاظها ويحللها على طريقته في الاشتقاق اللغوي، حيث أنه يهتم في تفسيره باللغة اهتماما بالغا، لأن التفسير اللغوي يُعتبر من أهم أدوات المفسرين.

ويقف على المعنى اللغوي للكلمات التي تحتاج إلى وقفة، ويستشهد بما يؤيده من كلام العرب من الشعر أو غيره.

وبعد شرحه للأبيات الشعرية يعود للإعراب، ويعرب ما يحتاج إلى إعراب من كلمات الآيات القرآنية.

وكان الزجاج يكثر من تناوله للمسائل النحوية في كتابه، لما له من علم ودراية في التفسير اللغوي للكلمات، حيث يذكر علاقة الكلمات ببعضها ليردها جميعا إلى أصل واحد، وإعرابها وعلاقة الجمل بما قبلها، ومن خلال تفسيره للمعنى اللغوي والمسائل النحوية من إعراب فإنه يناقش النحويين الآخرين فيرد رأيهم أو يؤيده، وفي هذا المضمار نجده يذكر القراءات القرآنية، حتى لا تخلو صفحات كتابه تخلو من ذكر القراءات واختلافها، وذكر قرائها، واختلاف المسائل البلاغية فيها تبعا لاختلاف القراءات، وقد أوردنا في هذا فصلا من فصول البحث.

وعلى الرغم من أن للزجاج نقولا كثيرة من أقوال العلماء الذين سبقوه، وما يوضح تأثره بهم إلّا أنه له منهجه الخاص به في التفسير وطريقته المتميزه عن باقي المفسرين.

المبحث الثاني

تأثر الزجاج بالعلماء السابقين.

قد تأثر عالمنا رحمة الله عليه بكثير من العلماء الذين سبقوه أمثال سيبويه[١]، وأبي عبيدة[٢]، وابن عباس، والفراء[٣]، والأخفش[٤].

وذلك متمثل في ذكره لأسماء أولئك العلماء في تفسيره لبعض الآيات وهي كالتالي: مرتبه حسب ورودها في كتابه مع ترتيب السور القرآنية.

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[٥].

قال الزجاج: فيه قولان: قال بعضهم: "استوى إلى السماء"، عمد وقصد إلى السماء، كما تقول قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه قصد بالاستواء إليه، وقد قيل أيضاً استوى أي صعد أمره إلى السماء، وهذا قول ابن عباس.

---

(1) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه إمام النحاة ، لزم الخليل ابن أحمد ففاقه ، وصنف كتابة المسمى كتاب سيبويه في النحو ، توفي سنة مائة وثمانين . انظر : وفيات الأعيان ٤٦٣/٣ و الأعلام ٨١/٥ .

(2) هو معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري مولى بني تيم ،تيم قريش لا تيم الرباب، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أول من صنف غريب الحديث أخذ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء، وأسند الحديث إلى هشام بن عروة الإمام الحجة، ... وكانت ولادة أبي عبيدة في رجب سنة عشر ومائة. وقال أبو موسى محمد بن المثنى، توفي أبو عبيدة سنة ثمان ومائتين، وقال الصولي: سنة سبع وقال المظفر بن يحيى سنة تسع، وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل ثلاث عشرة، وله ثمان وتسعون سنة، ولم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحد، لا شريف ولا غيره ولأبي عبيدة من التصانيف: كتاب غريب القرآن، كتاب مجاز القرآن ... وقد قيل أن تصانيفه تقارب المائتين. أنظر: معجم الأدباء ١٥٤/١٩- ١٦٢ و٢٩٤/٢_٢٩٦ .

(3) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ، أخذ عن الكسائي، وكان أبرع الكوفيين ، ومن مصنفاته معاني القرآن ، واللغات ، والمصادر في القرآن ، والنوادر ، والمقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث ، مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين . انظر : ونزهة الألباء ٩٨-١٠٣ وبغية الوعاة ٣٣٣/٢.

(4) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش من أكابر أئمة النحويين البصريين ، وكان أعلم من أخذ عن سيبويه ، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه ، صنف كتباً كثيرة في النحو والعروض والقوافي ، توفي سنة خمس عشرة ومائتين . انظر : نزهة الألباء ١٣٣ و بغية الوعاة ٥٩٠/١ .

(5) البقرة ٢٩.

والسماء لفظها لفظ الواحد، ومعناها معنى الجمع، والدليل على ذلك قوله: "فسواهنَّ سبع سماوات"، ويجوز أن يكون السماء جمعا كما إن السموات جمع كأن واحدهُ سَمَاةٌ و سماوةٌ وسماء للجميع [١].

قال ابن عباس: "**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**" أي ثم عمد إلى خلق السماء "فسواهن" فجعلهن سبع سماوات مستويات على الأرض "وهو بكل شيء عليم" من خلق السماوات والأرض[٢].

يظهر هنا تأثر الزجاج بابن عباس، إضافة إلى التصريح باسمه، لكن الزجاج تفوق في توضيح المعنى الذي قصده ابن عباس رضي الله عنه.

وقوله تبارك وتعالى:

﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾[٣].

القانت في اللغة المطيع، وقال الفراء: كل له قانتون هذا خصوص إنما يعني به أهل الطاعة، والكلام يدل على خلاف ما قال، لأن قوله: "**مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**" كل إحاطة وإنما تأويله كل ما خلق الله في السموات والأرض فيه أثر الصنعة فهو قانت لله والدليل على أنه مخلوق[٤].

قال الفراء: و قوله "**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**" يريد مطيعون، وهذا خاصة لأهل الطاعة ليست بعامة[٥].

فمن خلال النصين نجد أن الزجاج أخذ قول الفراء المختصر وفصله، وتأثره بالفراء واضح في هذا النقل، كما صرح باسمه.

وقوله عز وجل:

﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٦]

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٠-١٠١.

(2) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان.

(3) البقرة ١١٦.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١/١٧٤.

(5) معاني القرآن: أبي زكريا يحي بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ١/٧٤.

(6) البقرة ٢٢٣.

قال الزجاج: زعم أبو عبيدة أنه كنايه، والقول عندي فيه أن معناه أن نساؤكم حـرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة[١].

وأصل هذا إنما هو في الزرع، وكل ما حرث فيشبه ما منه الولد بذلك، وقـالوا فـي الحرث هو ما تعرفه الزرع، لأنه إذا أفسد في الأرض أبطل _بإفساده وإلقائه الفتنـة_ أمـر الزراعة[٢].

قال أبو عبيدة: "**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**" كناية وتشبيه[٣].

نقل الزجاج في هذه المسألة قول أبي عبيدة، حيث قال أبو عبيدة انه كنايـة، وذكـر الزجاج أنه كناية بنفس لفظ أبي عبيدة، لكنه فصّل كلمة تشبيه الذي ذكرها أبـو عبيـدة فـي تفسيره، فنجد الزجاج يأخذ أقوال العلماء السابقين ويشرحه ويفصله بالأمثلة.

وقوله عز وجل:

﴿ **وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا** ﴾[٤]

يقول الزجاج: قال أبو عبيدة: السر الإفصاح بالنكاح، وانشد:

ويحـرم سـر جـارتهم علـيهم ... ويأكـل جـارهم أنـف القـصاع

وقال غيره: كأن السر كناية عن الجماع، كما أن الغائط كناية عن الموضع، وهذا القول عندي صحيح[٥].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٨/١.

(3) مجاز القرآن ٧٣/١.

(4) البقرة ٢٣٥.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٢/١.

وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن: "**لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا**" السر: الإفضاء[1] بالنكاح، قال الحطيئة:

ويحـــرم ســـر جـــارتهم علـــيهم ويأكـــل جـــارهم أنـــف القـــصاع

أي ما استأنفت، وقال رؤبة بن العجاج:

فعـــف عـــن أســـرارها عنـــد العـــسق

يعني غشيانها، أراد الجماع[٢].

يوجد هنا مطابقة تامة بين النصين، وهذا أيضا يوضح تأثر الزجاج بأبي عبيدة، وصرح باسمه ونقل نصَّه نقلا صريحا، واستدل بقول الحطيئة كما استدل أبو عبيده بنفس البيت.

وكذلك قوله تعالى:

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]

يقول الزجاج: قال أبو عبيدة: المعنى كل طريق، قال أبو الحسن الأخفـش: "علـى" محذوفة. المعنى: اقعدوا لهم على كل مرصد[٤].

---

[1] أفضى الرجل: دخل على أهله، وأفضى إلى المرأة: غشيها، أفضى الرجل إلى امرأته باشرها وجامعهـا. أنظر: لسان العرب (فضا) ١٣٩/٥.

[2] مجاز القرآن ٧٥/١-٧٦.

[3] التوبة ٥.

[4] معاني القرآن وإعرابه ٣٤٨/٢.

قال أبو عبيدة[١]: "**وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**" وكذلك: واقعدوا لهم على كل مرصد. والمراصد الطرق، قال عامر بن الطفيل:

ولقد علمت وما إخال سواءه أن المنية للفتى بالمرصد

قال الأخفش[٢]: وقال "واقعدوا لهم كل مرصد" وألقى على.

قال الشاعر:

نُغالي اللّحْمَ للأَضْيافِ نِيّاً ونَبْذُلُه إذا نَضِجَ القُدورُ

كي نقارن بين النصين نجد أن في تفسير هذه الآية ذكر الزجاج قول عالمين، أي تأثر بهما وهما أبو عبيدة وأبو الحسن الأخفش، فهو ينقل نص أبي عبيدة باللفظ والمعنى، بينما نقل قول أبي الحسن بالمعنى دون اللفظ حينما قال (وألقى على) أي حذفها وتركها.

وقال الزجاج "على محذوفة"، فنجد الزجاج في هذا النص يجمع بين قولين لعالمين هما أبو عبيدة وأبو الحسن الأخفش، وصرح باسميهما.

و قوله تعالى:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣]

يقول الزجاج: رويت عن الحسن أن معناه في عينك التي تنام بها، وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ** في موضع منامك أي بعينك ثم حذف الموضع، وأقام المقام مكانه وهذا مذهب حسن، ولكنه قد جاء في التفسير أن النبي صلى الله عليه وسلم رآهم في النوم قليلا، وقصَّ الرؤيا على أصحابه فقالوا: صدقت رؤياك يا

---

(1) مجاز القرآن: أبو عبيدة ١/٢٥٣.

(2) معاني القرآن: للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشي، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب_ بيروت، ط١، ١٩٨٥، ٢/٥٤٩-٥٥٠.

(3) الأنفال ٤٣.

رسول الله، وهذا المذهب أسوغ في العربية، لأنه قد جاء: وإذ يريكهموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا، ويقللكم في أعينهم، فدلَّ بهذا أن هذا رؤيا الالتقاء، وأن تلك رؤيا النوم.

ويجوز على هذا المذهب الأول أن يكون الخطاب الأول للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن الخطاب الثاني لجميع من شاهد الحرب و للنبي صلى الله عليه وسلم[1].

"**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا**" قال الحسن البصري: في قوله: "**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا** : قال: بعينك التي تنام بها[2].

يتضح تأثر الزجاج بالحسن البصري من خلال ذكر اسمه، ويتضح أيضا من خلال نقله لنصه نقلا تاما، لكن الزجاج وضح النص بصورة أفضل وحلل النص تحليلا وافيا واستدل بأقوال بعض النحويين وبعض التفاسير.

وقوله عز وجل:

﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]

القراءة الرفع، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب، والزانيةَ والزانيَ بفتح الهاء، وزعم الخليل وسيبويه أن النصب المختار، وزعم سيبوية أن القراءة الرفع، وزعم غيرهم من البصريين والكوفيين أن الاختيار الرفع، وكذا هو عندي، لأن الرفع كالإجماع في القراءة، وهو أقوى في العربية، لأن معناها معنى من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء، وقال سيبويه والخليل: إن الرفع على معنى: "وفيما فرضنا عليكم الزانيةُ والزاني" _بالرفع_ أو الزانيةُ والزاني فيما فُرض عليكم، والدليل على أن الاختيار الرفع قوله عز وجل: ﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا**﴾[4]، وإنما اختيار الخليل وسيبويه النصب لأنه أمر، وأن الأمر بالفعل أولى والنصب جائز على معنى اجلدوا الزانيةَ والزانيَ[5].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٣٩.

(2) تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة د. محمد عبد الرحيم، دار الحديث–القاهرة، ٤٠٣/١.

(3) النور ٢.

(4) النساء ١٦.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٢.

قال سيبويه: وقد قرأ أناس: "والسارقَ والسارقةَ" و "والزانيةَ والزانيَ" وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامَّة إلا القراءة بالرفع.

وإنما كان الوجه في الأمر والنهي والنصب لأن حد الكلام تقديم الفعل، وهو فيه أجوب، إذ كان ذلك يكون في ألف الاستفهام، لأنهما لا يكونان إلا بالفعل(١).

وافق الزجاج سيبويه في هذه المسألة، فقال الزجاج: زعم سيبويه أن القراءة بالرفع ... وكذا هو عندي، كما نقل الزجاج قول سيبويه نقلا تاما في شرح هذه الآية والقراءة فيها.

و قوله عز وجل:

﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ**﴾(٢)

جاء في التفسير أن تبنى، وقال الحسن: تأويل "أن ترفع" أن تعظّم.

و"في" من صلة قوله كمشكاة. المعنى كمشكاة في بيوت، أي من مساجد، وقال الحسن:

يعني به بيت المقدس ويجوز أن تكون "في" متصلة بـ "يسبّح" ويكون فيها تكريرا على التّوكيد، فيكون المعنى: يسبّح لله رجال في بيوت أذن لأن ترفع(٣).

عن الحسن في قوله: "**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ**" قال: المساجد.

قال الحسن في قوله: "**أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ**" قال: أن تعظم لذكره.

قال الحسن معنى ترفع: تعظم ويرفع شأنها وتطهر من الأنجاس والأقذار(٤).

ونجد أن الزجاج أورد أقوالا لسيبويه ولم يتضمنها كتابه، ومن هذه الأقوال التي ذكرها الزجاج قائلا: قال سيبويه، أو زعم سيبويه ومنها.

---

(1) كتاب سيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٩١، ١/١٤٣-١٤٤.

(2) النور ٣٦.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٦.

(4) تفسير الحسن البصري ٢/١٦٠.

قول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾(١)

معناه: لا تعزموا على عقدة النكاح، وحذف "على" استخفافا كما تقول: ضربت زيد الظهر والبطن، معناه: على الظهر والبطن، وقال سيبويه: إن الحذف في هذه الأشياء لا يقاس(٢).

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

يقول الزجاج: هذه اللام لام القسم، واللام مفتوحة لالتقاء الساكنين في قول بعضهم: اعزونَّ يا رجل، فأما لام لتبلونَّ، فزعم سيبويه أنها مبنية على الفتح(٤).

فهذه الأقوال التي ذكرها الزجاج في كتابه لم أجدها في كتاب سيبويه، وهناك أيضا أقوال ذكرها على لسان الحسن البصري لم أجدها أيضا في كتابه.

قوله عز وجل:

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(٥)

قال الزجاج: تأويل "كان" في هذا الموضع قد اختلف فيه الناس، فقال الحسن البصري: كان غفورا لعباده، وعن عباده قبل أن يخلقهم(٦).

---

(1) البقرة ٢٣٥.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٢/١.

(3) المائدة ٩٤.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١٦٦/٢.

(5) النساء ٩٩.

(6) معاني القرآن وإعرابه ٧٨/٢.

ولم أجد هذا القول أيضا في تفسير الحسن البصري.

ونجد أيضا أن الزجاج يورد أقوالا تأثر بها ونقلها دون ذكر أصحابها، فنجده يقول في أكثر من موضع: قال بعض النحويين ومن هذه الأقوال:

قوله تبارك وتعالى:

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ [١].

يقول الزجاج: **قال بعض النحويين:** المعنى سَلْه وقل له أَخرِج لنا يُخرِج لنا (هو)، وقال قوم: معنى يُخرِج لنا معنى الدعاء كأنه قال: أَخرِج لنا[٢].

ومعنى قوله: سلْه وقل له اخرج لنا يخرج لنا، ليس استفهاما، وإنما توسلا وتضرعا وهو معنى الدعاء، طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

وقوله عز وجل:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٣].

يقول الزجاج: قال بعض النحويين معنى أأسلمتم الأمر، معناه عندهم أسلموا، وحقيقة هذا الكلام أنه لفظ استفهام[٤].

---

[1] البقرة ٦١.

[2] معاني القرآن وإعرابه ١/١٢٩.

[3] آل عمران ٢٠.

[4] معاني القرآن وإعرابه ١/٣٢٩.

المبحث الثالث

تأثير الزجاج بالعلماء اللاحقين

كما تأثر الزجاج بالعلماء الذين سبقوه فإنه بعلمه وسعة ثقافته وآرائه الثاقبة قد أثر في كثير من العلماء الذين لحقوا به، فكان له الأثر الواضح في كتبهم وتفاسيرهم، آخذين برأيه في العديد من المسائل البلاغية ، والنحوية، واللغوية،

ومن هؤلاء العلماء الذين تأثروا به:

البغوي

وذلك في تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١).

يقول البغوي: وقوله سبحانه وتعالى: "**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ**"، قال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلّا الخبيث من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيبات إلّا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذمّ للذين قذفوا عائشة، ومدح للذين برؤوها بالطهارة(٢).

يقول الزجاج: وقوله عز وجل: **﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**.

المعنى: الكلمات الخبيثات للخبيثين من الرجال، والرجال الخبيثون للكلمات الخبيثات، أي لا يتكلم بالخبيثات إلّا الخبيث من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيبات إلّا الطيب من الرجال والنساء، ويجوز أن يكون معنى هذه الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيثين من الرجال والخبيثات من النساء، فأمّا الطيبات الطاهرات فلا يلصق بهن شيء، وقيل: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال(٣).

---

(1) النور ٢٦.

(2) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط١، ١٩٩٣، ٢٨٤/٣.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٠/٤.

وقوله عز وجل:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

يقول البغوي: قال الزجاج: لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيرا(٢).

قال الزجاج: وقوله: "**وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا**" معنى: "**إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا**" قيل: إن علمتم أداء ما يفارق عليه، أي علمتم أنهم يكتبون ما يؤدونه(٣).

الألوسي:

في روح المعاني بتفسيره لقول الله عز وجل: **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(٤).

يقول الألوسي: قوله: "**لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**"، قال الفراء والزجاج: المعنى لا شرقية فقط ولا غربية فقط، لكنها شرقية غربية، تصيبها الشمس عند طلوعها وغروبها(٥).

قال الزجاج: وقوله عز وجل: "**لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**"، أكثر التفاسير أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها فقط أو عند الغروب، أي ليس يسترها في وقت النهار

---

(1) النور ٣٣.

(2) تفسير البغوي ٣/٢٩١.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢-٣٣.

(4) النور ٣٥.

(5) روح المعاني: مج٩/ج١٨/١٦٨.

سيء، أي فهي شرقية غربية، أي تصيبها الشمس بالغداة والعشي، فهو أنــضر لهــا وأجــود لزينتها[١].

ابن الجوزي:

ويتضح تأثير الزجاج بابن الجوزي وذلك من خلال كتابه (زاد المسير) وذلك بتفسيره لبعض آيات القرآن الكريم ومنها:

قوله تعالى:

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: "**سُورَةٌ**" قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبلة، ومحبوب عن أبي عمرو "**سُورَةً**" بالنصب.

قال أبو عبيدة: من رفع، فعلى الابتداء، وقال الزجاج: هذا قبــيح، لأنهــا نكــرة، و "**أَنْزَلْنَاهَا**" صفة لها، وإنما الرفع على إضمار هذه سورة، والنصب على وجهين: أحدهما على معنى: أنزلنا سورة والثاني على معنى: اتلُ سورةً[٣].

قال الزجاج: قوله عز وجل: "**سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا**" القراءة الرفع، وقرأ عيسى بــن عمــر "**سُورَةً**" بالنصب.

فأما الرفع فعلى إضمار هذه سورة أنزلناها، ورفعها بالابتــداء قبــيح لأنهــا نكــرة، وأنزلناها صفة لها، والنصب على وجهين: على معنى أنزلنا سورة، كما تقول زيدا ضــربته، وعلى معنى اتلُ سورةً أنزلناها[٤].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣٦/٤.

(2) النور ١.

(3) زاد المسير ٣٤/٥.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٢/٤.

وقوله عز وجل:

﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: "**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي**" القراءة المشهورة بالرفع، وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة، وعيسى بن عمر "**الزَّانِيَةَ**" بالنصب .

واختاره الخليل وسيبويه، والرفع اختيار الأكثرين، قال الزجاج: والرفع أقوى في العربية، لأن معناه: من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء، ويجوز النصب على معنى: اجلدوا الزانيةَ[2].

قال الزجاج: القراءة الرفع، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب، والزانيةَ والزانيَ بفتح الهاء، وزعم الخليل وسيبويه أن النصب المختار، وزعم سيبوية أن القراءة الرفع، وزعم غيرهم من البصريين والكوفيين أن الاختيار الرفع، وكذا هو عندي، لأن الرفع كالإجماع في القراءة، وهو أقوى في العربية، لأن معناها معنى من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء.

وقال سيبويه والخليل: إن الرفع على معنى: "وفيما فرضنا عليكم الزانيةُ والزاني" _بالرفع_ أو الزانيةُ والزاني فيما فُرض عليكم، والدليل على أن الاختيار الرفع قوله عز وجل: ﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآَذُوهُمَا**﴾[3]، وإنما اختيار الخليل وسيبويه النصب لأنه أمر، وأن الأمر بالفعل أولى والنصب جائز على معنى اجلدوا الزانيةَ والزانيَ[4].

---

(1) النور ٢.

(2) زاد المسير ٣٤٠/٥.

(3) النساء ١٦.

(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٢/٤.

وقوله عز وجل:

﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾(١).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم "**أَرْبَعَ**" بفتح العين، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، برفع العين.
قال الزجاج: من رفع "**أَرْبَعُ**" فالمعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأُ حَدَّ القذف أربعُ، ومن نصب فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربعَ(٢).

يقول الزجاج: وقوله: "**فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ**"، ويقرأ "**أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ**" بالنصب، فمن قرأ أربعُ بالرفع فعلى خبر الابتداء، المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدَّ القاذف أربعٌ، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿**وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾(٣)، ومن نصب أربعا فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدُهم أربعَ شهادات. وعلى معنى: فالذي يدرأ عنها العذاب أن يشهد أحدهم أربع شهادات بالله(٤).

وقوله عز وجل:

﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ**﴾(٥).

قال ابن الجوزي: أي: ستره ونعمته.
قال الزجاج: وجواب لولا هاهنا عذاب عظيم(٦).
يقول الزجاج: "وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ**﴾.

---

(1) النور ٦.
(2) زاد المسير ٣٤٦/٥.
(3) النور ٨.
(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٦/٤.
(5) النور ١٠.
(6) زاد المسير ٣٤٦/٥.

ههنا جواب لولا متروك، والمعنى _والله أعلم_ ولولا فضل الله عليكم لنال الكاذب لما ذكرنا عذاب عظيم.

ويدل عليه: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(١)"(٢).

وقوله عز وجل:

﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(٣).

قال ابن الجوزي: قال الزجاج: والقيعة جمع قاع، مثل جار وجيرة، والقيعة والقاع ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات(٤).

وقال الزجاج: والقيعة جمع قاع، مثل جار وجيرة، والقيعة والقاع ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، فالذي يسير فيه يرى كأنه فيه ماء يجري. وذلك هو السراب، والآل مثل السراب إلّا أنه يرتفع وقت الضحى كالماء بين السماء والأرض(٥).

أبو السعود:

ويتضح تأثر أبي السعود في الزجاج من خلال تفسيره لقول الله تعالى:

﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(٦).

يقول أبو السعود: كان المنادي جبريل عليه السلام، كما تفصح عنه قراءة من قرأ "فناداه جبريل"والجمع كما في قولهم: فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له غير فرس.

---

(1) النور ١٤.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٧.

(3) النور ٣٩.

(4) زاد المسير ٥/٣٦٦.

(5) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٨.

(6) آل عمران ٣٩.

قال الزجاج: أي أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة(١).

وقال الزجاج في معاني القرآن:"فناداه الملائكة" الوجهان جميعا جائزان، لأن الجماعة يلحقها اسم التأنيث، لأن معناها معنى جماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير، كما يقال جمع الملائكة، ويجوز أن تقول نادته الملائكة وإنما ناداه جبرائيل وحده لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس، كما تقول: ركب فلان في السّفن، وإنما ركب سفينة واحدة. تريد بذلك ركوبه في هذا الجنس(٢).

تأثر أبو السعود بالزجاج في هذه المسألة البلاغية ولكنه لم يذكرها ألا وهي تغليب الجمع على المفرد، وملاحظة النصين نجد أن أبا السعود نقل كلام الزجاج مع شيء من التحوير والتبديل، ولكن نقل قول الزجاج "أي أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة".

الشوكاني:

كما تأثر كثير من العلماء اللاحقين للزجاج بكتابه كذلك لحق الشوكاني بالمتأثرين في الزجاج، وهذا يتضح جليا في كتابه فتح القدير الذي سنتناول منه بعض القضايا التي أخذها عن الزجاج ومنها:

قوله عز وجل:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾(٣).

قال الشوكاني: قيل هو خبر وليس بأمر، وقال الزجاج: معناه: ليحذر، فالمعنى على القول الأول: وأن المنافقين يحذرون نزول القرآن فيهم، وعلى الثاني: الأمر لهم بأن يحذروا ذلك(٤).

---

(1) تفسير أبي السعود، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ٣٦٣/١.

(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٤١/١.

(3) التوبة ٦٤.

(4) فتح القدير ٤٧٦/٢.

قال الزجاج: لفظ يحذر لفظ الخبر ومعناه الأمر، لأنه لا لبس في الكلام في أنه أمـــر، فهو كقولك: ليحذر المنافقون، وعلى هذا يجوز في كل ما يؤمر به أن تقول يُفعل ذلك، فينوب عن قولك ليفعل ذلك[١].

مقارنة بين النصين نجد أن الشوكاني قد أخذ بالرأيين الذين ذكرهما الزجاج ووافقهما، الأول "ليحذر" والذي ذكره الزجاج مفصلا، والثاني الذي أشار إليه في نهايـــة كلامـــه، لكـــن الشوكاني لم يذكر اسم الزجاج في رأيه بأنه خبر وليس بأمر بل قال: قيل هو خبـــر ولـــيس بأمر، وهذا أصلا قول الزجاج وذكره بوضوح.

وقوله تبارك وتعالى:

﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَـسْجُدُونَ**﴾[٢].

يقول الشوكاني: وهم يصلون كما قال الفراء والزجاج، وإنما عبـــر بالـــسجود عـــن مجموع الصلاة لما فيه من الخضوع والتذلل[٣].

قال الزجاج: وقوله عز وجل: "**وَهُمْ يَسْجُدُونَ**"، معناه وهم يصلون، لأن التلاوة ليست في السجود، وإنما ذكرت الصلاه بالسجود لأن السجود نهاية ما فيها من التواضع والخـــشوع والتضرع[٤].

لقد تأثر الشوكاني في هذه المسألة بالزجاج تأثرا مباشرا، وذلك من خلال توضـــيحه للمعنى البلاغي كما وضحه الزجاج وهو المجاز المرسل ذو العلاقة الجزئية.

وقوله تبارك وتعالى:

---

(1) معاني القرآن وإعرابه٢/٣٧٠-٣٧١.

(2) آل عمران ١١٣.

(3) فتح القدير ١/٥٠٤.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٨٦.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١].

قال الشوكاني: فيه تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا يسمع إلّا دعاء ونداء ولا يفهم ما يقول، هذا فسره الزجاج... والمعنى مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم، فحذف لدلالة المعنى عليه[٢].

قال الزجاج: وضرب الله عز وجل لهم هذا المثل، وشبههم بالغنم المنعوق بها[٣].

والشوكاني يورد اسم الزجاج، وقد اتضح لنا التوافق بين النصين، وهذا ما يؤكد أن الشوكاني تأثر بالزجاج، وقد تأثر ههنا بمسألة بلاغية أخرى وهي التشبيه.

---

(1) البقرة ١٧١.

(2) فتح القدير ٢٣٦/١.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٢١٠/١.

الخاتمة

وفي نهاية بحثي في كتابه معاني القرآن وإعرابه، لا بد من كلمة أخيرة وستكون إن شاء الله خاتمة لهذا البحث المتواضع، وسأذكرها في نقاط، وهذا ما توصلت إليه في هذا العمل الخالص لوجه الله تعالى وتبارك.

أولها: يعتبر الزجاج أحد علماء البلاغة العربية إضافة إلى أنه عالم من علما النحو المعروفين.

ثانيها: اهتم الزجاج في تفسيره بالبلاغة العربية اهتماما واضحا وهذا ما بيناه في الثلاثة فصول الأولى.

ثالثها: اهتم الزجاج في علم البلاغة بفني المعاني والبيان أكثر من اهتمامه بعلم البديع.

رابعا: بين الزجاج اختلاف الوجهة البلاغية باختلاف القراءات القرآنية، فكان لكل قراءة من القراءات وجهة بلاغية خاصة بها.

خامسا: تأثر الزجاج بكثير من العلماء الذين سبقوه أمثال سيبويه ، وأبو عبيدة، والفراء، وغيرهم.

سادسا: أثر الزجاج فيمن جاء بعده من العلماء اللاحقين أمثال الشوكاني، وأبي السعود، وابن الجوزي، والبغوي، والألوسي، فكان له الأثر الجلي في تفاسيرهم.

سابعا: يعتبر مصدرا هاما لمساعدتي في الغوص في هذا العلم العظيم، وهو علم البلاغة الذي هو مجال دراستي، فوجدت فيه العبقرية الكافية في تحليله للآيات القرآنية بلاغيا ونحويا ولغويا.

ثامنا: لقد أكسبني هذا البحث ملكة استخراج، وفهم، وحفظ المصطلحات البلاغية.

ونهاية أسأل الله أن يوفقني إلى ما يحب ويرضى، وأن يجعل عملي هذا خاليا من الرياء، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

توصية

أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم.

وأوصي جميع المتخصصين في مجال اللغة العربية أن يسعوا حثيثا لفهـــم البلاغـــة العربية، فهي تعتبر من أهم الطرق لفهم آيات القرآن الكريم، وتمكنهم من النجاة إذا ما غاصوا في معانيه وأبحروا في إعجازه.

كما أوصي جميع القرَّاء أن يعملوا جاهدين على قراءة كتب التفسير لأنها تـــساعدهم على التدبر في كلام الله عز وجل، وفهم معانيها وما تصبو إليه تلك المعاني.

والله الموفق.

المصادر والمراجع:

١. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمد بن علي بن محمد الجرجـاني، تحقيـق د.عبد القادر حسين، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر_الفجالة_القاهرة.
٢. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٤.
٣. الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٣، ١٩٩٧م.
٤. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري، ط١، ١٩٩٣.
٥. الإيضاح : للقزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفـاجي، دار الكتـب اللبنـاني، ط٤، ١٩٧٥.
٦. البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧. بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن الـسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
٨. البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبـديع: د.فـضل عبـاس، دار الرقـان للنـشر والتوزيع_عمان، ط١، ١٩٨٥.
٩. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: تصنيف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، حققه محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٩٨٧م.
١٠. تاريخ بغداد: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيـب البغـدادي، ، مكتبـة الخانجي، القاهرة، دار الفكر.
١١. التبيان في البيان: للإمام الطيبي، تحقيق ودراسة د. عبد الستار حسين زمّوط، دار الجليل_ بيروت، ط١، ١٩٩٦.
١٢. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القـرآن: لابـن أبـي الأصبع المصري، تقديم وتحقيق د.حفني محمد شرف، القاهرة ١٩٩٥.
١٣. تفسير أبي السعود، وضع حواشيه عبد اللطيف عبـد الـرحمن، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
١٤. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: للإمام أبي محمد الحسين بـن مـسعود الفراء البغوي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط١، ١٩٩٣.

١٥. تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع_ تونس.
١٦. تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة د. محمد عبد الرحيم، دار الحديث–القاهرة.
١٧. تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر.
١٨. التلخيص في علوم البلاغة: القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوني، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٣٢.
١٩. تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان.
٢٠. تهذيب الأسماء واللغات: للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١. تهذيب البداية والنهاية: للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، تهذيب وتنقيح وإعداد عبد الحليم إبراهيم عبد الحليم، دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠٦.
٢٢. جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان: السيد أحمد الهاشمي، تحقيق د. محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٩.
٢٣. الحجة للقراء السبعة: لأبي على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط١، ٢٠٠١.
٢٤. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني– المؤسسة السعودية، ط٣، ١٩٩٢م.
٢٥. دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجاني: شرح وتعليق د. محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩.
٢٦. روح البيان في تفسير القرآن: البروسي، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٣.
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ١٩٨٧.
٢٨. زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧.

٢٩. سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي، تحقيق أكرم البوشي، ، مؤسسة الرسالة، ط١١، ٢٠٠١م.
٣٠. شذرات الذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣١. الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم.
٣٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: تأليف يحيى بن حمزة بن علي إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان.
٣٣. عروس الأفراح
٣٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث_القاهرة، ٢٠٠٣م.
٣٥. فن البلاغة: د. عبد القادر حسين، النسخة الأخيرة، مطبعة الأمانة.
٣٦. فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم: إعداد محمد سعيد اللحام، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٥.
٣٧. الكامل في التاريخ: لابن الأثير، عني بمراجعه وأصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان، ط٣، ١٩٨٠.
٣٨. كتاب سيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٩١.
٣٩. الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤.
٤٠. لسان العرب : لابن منظور، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٤١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة- مصر، ط٢.
٤٢. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، علق عليه د. محمد فؤاد سزكين، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٤٣. مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط١، ١٩٧٣.

٤٤. مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار: للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
٤٥. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق د. عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية_ بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٤٦. معالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٢م،.
٤٧. معاني القرآن وإعرابه: للزجاج، شرح وتعليق: عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤.
٤٨. معاني القرآن: أبي زكريا يحي بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.
٤٩. معاني القرآن: للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشي، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب_ بيروت، ط١، ١٩٨٥.
٥٠. معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
٥١. معجم الأدباء: لياقوت، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠م.
٥٢. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣.
٥٣. المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: د. إنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢.
٥٤. المقتطف من عيون التفاسير: مصطفى المنصوري، حققه وخرج أحاديثه محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية_ بيروت، ط٢، ١٩٩٦.
٥٥. المقفى الكبير: تقي الدين المقريري، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت_لبنان، ط١، ١٩٩١.
٥٦. من بلاغة القرآن: د. محمد علوان ود. نعمان علوان،مطبعة المقداد، ط٢.
٥٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط١، ١٩٩٢.

٥٨. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري: تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنارة، الأردن، ط٣.
٥٩. الهادي في شرح طيّبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها: د. محمد سالم محيسن، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٦٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
١. ملخص البحث	ب
٢. الملخص باللغة الانجليزية	ج
٣. الإهداء	د
٤. شكر وتقدير	هـ
٥. المقدمة	و. ز. ح
٦. التمهيـــد	١
٧. الزجـــاج	١
٨. اسمه ونسبه	١-٢
٩. شيوخه وتلاميذه	٣
١٠. شيوخه	٣
١١. تلاميذه	٣-٤
١٢. مكانته ومصنفاته	٥
١٣. أ- مكانته	٥
١٤. ب- مصنفاته	٥-٦
١٥. البلاغة	٧-٨
١٦. الفصل الأول: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية (علم المعاني)	٩
١٧. المسائل البلاغية التي ذكرها الزجاج في كتابه	١٠
١٨. أولا: الخبـــر	١٠
١٩. أضرب الخبر	١١
٢٠. الأغراض البلاغية للخبر	١١
٢١. من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر:	١٢
٢٢. الأمر	١٢
٢٣. ثانيا: الإنشاء	١٣
٢٤. الإنشاء غير الطلبي	١٤
٢٥. من صور الإنشاء غير الطلبي	١٤

٢٦. القسم	١٤
٢٧. الترجي	١٥
٢٨. صيغة الذم	١٥
٢٩. الإنشاء الطلبي	١٥
٣٠. الأمر	١٦
٣١. صيغ الأمر	١٦
٣٢. فعل الأمر	١٦
٣٣. اسم فعل الأمر	١٦
٣٤. الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر	١٧
٣٥. النصح والإرشاد	١٧
٣٦. الدعاء	١٧
٣٧. الإغراء	١٨
٣٨. الإباحة	١٨-١٩
٣٩. التخيير	٢٠
٤٠. التهديد	٢٠
٤١. التيئيس	٢١
٤٢. ثانيا: الاستفهام	٢٢
٤٣. أدوات الاستفهام	٢٣
٤٤. التفريق بين هل الهمزة في الاستفهام وإفادته	٢٣
٤٥. الاستفهام الحقيقي	٢٣
٤٦. الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام	٢٤
٤٧. من الأغراض البلاغية للاستفهام التي تناولها الزجاج	٢٤
٤٨. التقرير والتوبيخ	٢٤
٤٩. التسوية	٢٥
٥٠. التعجب	٢٦
٥١. النفي	٢٧
٥٢. الأمر	٢٨
٥٣. التوبيخ	٢٨
٥٤. الإنكار	٢٩

٥٥.	الأغراض التي جاءت مع الإنكار كما فسرها الزجاج كما يلي	٢٩
٥٦.	الإنكار والتوبيخ	٢٩
٥٧.	الإنكاري التكذيبي	٣٠
٥٨.	استفهام إنكاري أفاد معنى التقرير	٣١
٥٩.	ثالثا: النهي	٣٢
٦٠.	علاقة النهي بالأمر	٣٣
٦١.	الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي	٣٤
٦٢.	أولا: الأمر	٣٤
٦٣.	ثانيا: الائتناس	٣٤
٦٤.	ثالثا: التفخيم	٣٤
٦٥.	رابعا: بيان العاقبة	٣٥
٦٦.	رابعا: النداء	٣٦
٦٧.	خامسا: التمني	٣٨
٦٨.	الفرق بين التمني والترجي	٣٨
٦٩.	التمني بـــ (لعل)	٣٩
٧٠.	التمني بـــ (ليت)	٣٩
٧١.	ثالثا: التكرار	٤٠
٧٢.	ومن التكرار في المعنى دون اللفظ	٤٠
٧٣.	من الأغراض البلاغية للتكرار	٤٠
٧٤.	التوكيد	٤٠
٧٥.	التكرار الذي يفيد تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع	٤١
٧٦.	رابعا: التعريف والتنكير	٤٢
٧٧.	التنكير للمبالغة	٤٢
٧٨.	التقديم والتأخير	٤٣
٧٩.	من الأغراض البلاغية للتقديم	٤٣
٨٠.	التخصيص	٤٣
٨١.	التقديم للأسبق زمنا	٤٤
٨٢.	أسلوب القصر	٤٥
٨٣.	القصر بطريق تقديم ما حقه التأخير	٤٦

٨٤.	القصر باستخدام (إنما)	٤٦
٨٥.	القصر بالنفي والاستثناء	٤٧
٨٦.	الفرق بين إنّما والنفي والاستثناء	٤٧
٨٧.	خروج الكلام عن مقتضى الظاهر	٤٨
٨٨.	أولا: الالتفات	٤٨
٨٩.	صور الالتفات التي ذكرها الزجاج في كتابه	٤٨
٩٠.	التعبير عن المخاطب بلفظ المتكلم	٤٨
٩١.	ثانيا: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل	٤٩
٩٢.	ثالثا: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي	٥٠
٩٣.	رابعا: التعبير عن الجمع بلفظ المفرد	٥١
٩٤.	خامسا: التعبير عن المفرد بلفظ الجمع	٥٢
٩٥.	سادسا: التعبير عن المؤنث بلفظ المذكر	٥٣
٩٦.	سابعا: التعبير عن المذكر بلفظ المؤنث	٥٤
٩٧.	ثامنا: التعبير عن المثنى بلفظ المفرد	٥٤
٩٨.	تاسعا: مخاطبة غير العاقل بما خوطب به العاقل	٥٥
٩٩.	عاشرا: التغليب	٥٥
١٠٠.	أقسام التغليب	٥٦
١٠١.	١- تغليب المعرفة على النكرة	٥٦
١٠٢.	٢- تغليب المذكر على المؤنث	٥٦
١٠٣.	٣- تغليب المؤنث على المذكر	٥٧
١٠٤.	٤- تغليب الجمع على المفرد	٥٨
١٠٥.	الوصل والفصل	٥٩
١٠٦.	مواضع الوصل	٥٩-٦٠
١٠٧.	الإيجاز والإطناب	٦١
١٠٨.	أولا: الإيجاز	٦١
١٠٩.	مسوغ الحذف	٦١
١١٠.	جواز الحذف	٦٢
١١١.	إيجاز الحذف	٦٢-٦٣
١١٢.	الحذف وغرضه البلاغي	٦٤

١١٣.	إيجاز الحذف وأنواعه	٦٤
١١٤.	الإيجاز بحذف المبتدأ	٦٤
١١٥.	الإيجاز بحذف الخبر	٦٥
١١٦.	الإيجاز بحذف حرف الجر	٦٥
١١٧.	الإيجاز بحذف المضاف	٦٦
١١٨.	الذكر للتخصيص والتعظيم	٦٧
١١٩.	ثانيا: الإطناب	٦٨
١٢٠.	من صور الإطناب	٦٨
١٢١.	ذكر الخاص بعد العام	٦٨-٦٩
١٢٢.	الفصل الثاني: الصور البيانية في تسير الزجاج (علم البيان)	٧٠
١٢٣.	أولا: التشبيه	٧١-٨٤
١٢٤.	ثانيا: المجاز	٨٥
١٢٥.	أولا: العقلي	٨٦
١٢٦.	علاقات المجاز العقلي	٨٦
١٢٧.	المفعولية	٨٦
١٢٨.	الزمانية	٨٧
١٢٩.	ثانيا: المرسل	٨٧
١٣٠.	علاقات المجاز المرسل	٨٨
١٣١.	السببية	٨٨-٩٠
١٣٢.	الحالية	٩١
١٣٣.	المحلية	٩٢
١٣٤.	الجزئية	٩٢-٩٤
١٣٥.	ثالثا: الاستعارة	٩٥
١٣٦.	الاستعارة عند البلاغيين	٩٥
١٣٧.	الاستعارة المكنية	٩٦
١٣٨.	الاستعارة التبعية	٩٦-٩٧
١٣٩.	الاستعارة المرشحة	٩٨
١٤٠.	الاستعارة التصريحية	٩٨-٩٩
١٤١.	رابعا: الكناية	١٠٠

١٤٢. الكناية عند البلاغيين	١٠٠-١٠٣
١٤٣. الفصل الثالث: المحسنات البديعية في تفسير الزجاج (علم البديع)	١٠٤-١٠٥
١٤٤. المحسنات البديعية التي ذكرها الزجاج في تفسيره	١٠٦
١٤٥. أولا: التجريد	١٠٦
١٤٦. ثانيا: المماثلة	١٠٧-١٠٨
١٤٧. ثالثا: اللف والنشر	١٠٩-١١٠
١٤٨. رابعا: المشاكلة	١١١-١١٣
١٤٩. خامسا: المبالغة	١١٤-١١٦
١٥٠. الفصل الرابع: توجيه القراءات القرآنية بلاغيا	١١٧-١٣١
١٥١. الفصل الخامس قيمة الكتاب العلمية بين الكتب	١٣٢
١٥٢. المبحث الأول: منهجه في الكتاب	١٣٢-١٣٣
١٥٣. المبحث الثاني: تأثر الزجاج بالعلماء السابقين	١٣٤-١٤٢
١٥٤. المبحث الثالث: تأثير الزجاج بالعلماء اللاحقين	١٤٣
١٥٥. ١- البغوي	١٤٣
١٥٦. ٢- الألوسي	١٤٤
١٥٧. ٣- ابن الجوزي	١٤٥-١٤٨
١٥٨. ٤- أبو السعود	١٤٨-١٤٩
١٥٩. ٥- الشوكاني	١٤٩-١٥١
١٦٠. الخاتمة	١٥٢
١٦١. توصية	١٥٣
١٦٢. المصادر والمراجع	١٥٤-١٥٨
١٦٣. الفهرس	١٥٩-١٦٤